



الحجَاج
في خطب الملكَ فيصل السياسية
مقاربة تداولـــية

إعداد
رفعة بنت موافق الدوسري

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

ⓒ معهد الامير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدوسري ، رفعة بنت موافق بن سحمي الغياثات
الحجاج في خطب الملك فيصل السياسية مقاربة تداولية. / رفعة بنت موافق بن سحمي الغياثات الدوسري .- الرياض ، ١٤٤٢هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٥٥٦١-٧

١- فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ، ملك السعودية - خطب و كلمات ٢- الخطب السياسية أ.العنوان
ديوي ٣٥٠,٠٠٣٥ ١٤٤٢/١٠٤٧

أصل هذا الكتاب

الحِجَاج في خطب الملك فيصل السياسية مقاربـــة تداولـــية

هذا العمل في أصله بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد،

وقد ناقشته -يوم الاثنين ١٣/ ٧/ ١٤٣٨هـ في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - اللجنة العلمية المكونة من:

د. محمد القسومي (مشرفاً)، أ.د محمد القاضي (عضواً)، أ.د صالح بن رمضان (عضواً)؛ فلهم خالص الشكر والتقدير.

الحِجَاج في خطب الملك فيصل السياسية مقاربـــــة تداولـــية

إعداد

رفـعـة بنت مـوافـق الدوسـري

الجيوش تفتح المدن، والعلم يفتح الآفاق

فيصل بن عبدالعزيز


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

في سياق مساهمة معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية في تشجيع نشر الثقافة المعرفية المتصلة بالشؤون الدولية والدبلوماسية، وبالجانب الأدائي المتصل بطبيعة التفاعل السعودي مع مختلف القضايا الإقليمية والدولية، واستمراراً للجهود التي يبذلها المعهد لإثراء الجانب المعرفي الرصين ذي الصلة بالشؤون المتعلقة بممارسة الجوانب العملية للسياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية، ونظراً للتأثير الهائل الذي تمارسه الخطابة السياسية في المجتمعات العربية المعاصرة، وحرصاً من المعهد على استقطاب الدراسات الجادة التي من شأنها زيادة الحصيلة الثقافية لدى المهتمين بمتابعة إنجازات القيادة السعودية تجاه القضايا العربية والإسلامية، فإنه يسر المعهد أن يقدم هذا الكتاب والمعنون بـ «الحجاج في خطب الملك فيصل السياسية: مقاربة تداولية»، للباحثة الأستاذة: رفعة بنت موافق الدوسري.

حيث تناول هذا الكتاب الحديث عن المنطلقات التي بنى الملك فيصل -رحمه الله- عليها لغة خطابه السياسي بشأن القضايا التي شكلت في تلك الفترة انعكاساً لهاجسه الفكري وثوابته العقائدية وإنتمائاته العروبية. فقد مثلت اهتماماته المتعاظمة بالقضية الفلسطينية على الدوام بيئة مهمة في بناء الخطط الحجاجية في سياق إبراز محورية القضية والدفاع عنها في مختلف المحافل والمناسبات المحلية والدولية. وأشارت الباحثة في ثنايا مناقشتها لموضوعات هذا الكتاب وعلى نحو بارز أن الحبكة الحجاجية المحكمة في خطابات الملك فيصل السياسية جاءت مؤثرة، ولعبت دوراً فعالاً في حل العديد من النزاعات وفق آلية تقوم على نبذ ممارسات القوة العنفية، وكذا الإرهاب وإراقة الدماء.

ختاماً، غاية ما يأمله معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية أن يجد القارئ في محتويات هذا الكتاب معلومات ممتعة جديدة ومفيدة، وأن يحظى هذا الإصدار بالقبول، وأن يحقق الفائدة المرجوة منه.

والله نعم المولى وخير معين،،،

المقدمة

إن المفهوم السائد للحجاج في الخطاب السياسي يتضمن الولوج ضمن شبكة من العمليات المرنة والمعقدة التي تضطلع بالوظائف الحجاجية، وهذا يعني تعطيل خواص تواصلية مادية، ويستبدل بها أشكال رمزية، تؤدي ما تضمنته المقولات الفلسفية، التي تصنف طبيعة السلوك الإنساني إلى الرمزية. فتوظيف الحجاج في النطاق السياسي يعني استبدال قوة بقوة، فالقوة العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت تمتزج بأدوات جديدة، تجنح للرمز إزاء أشكال التواصل المادي، فتضم قوة البرهان والمنطق واللغة والحجاج؛ حتى شكلت الاستراتيجية الحجاجية أحد وجوه الديمقراطية في الفضاء السياسي.

فقد أصبح الحجاج موضوعاً لافتاً للانتباه، بعد أن سجل حضوراً فعالاً في جميع الأنشطة الإنسانية -لاسيما السياسية منها- التي أثبتت أن التواصل لا يكون إلا بهدف، وأن هذا الهدف لا يتم إلا عبر استراتيجية لسانية، تنهض بالعملية الحجاجية.

إن الحديث عن الخطاب السياسي لدى الملك فيصل يسترفد أهميته من قلة الدراسات التي تعنى بتحليل الخطاب وفق النظرية الحجاجية عموماً، وما كان منها في السياسة على وجه الخصوص, على الرغم من وجود مادة ثرية, مثل الخطب السياسية لملوك المملكة العربية السعودية، فتأتي هذه الدراسة لكشف مدى قدرة النظرية الحجاجية على الإحاطة بكافة أنماط الخطب السياسية.

يمثل الخطاب السياسي السعودي حقبة زمنية واسعة، آثرت أن أدرس منها ما كان بين (٤٨٣١هـ - ٥٩٣١هـ) وهي المدة التي تولى فيها الملك فيصل حكم البلاد، هذه المدة الزمنية تخللتها جملة من التطورات, منها ما كان على الصعيد الحضاري, ومنها ما كان على الأصعدة الاستراتيجية، التي يمكن أن تنعكس على مضمون الخطب وأساليبها، هذا الانعكاس في طريقة الانتقاء والصياغة ثم العرض والإقناع لم تتطرق له أي دراسة سابقة.

إن دراستنا للخطاب السياسي، تقوم على اعتباره وسيلة تواصلية رمزية، ذات وظائف حجاجية، ترمي إلى بلوغ غاية يضمنها المتكلم كلامه، معتمداً على تصوره للقضية، وفهمه للمتلقي، وإلمامه بمتطلبات المقام. فالقيمة الحقيقة لدراسة الحجاج في الخطاب السياسي -في هذا البحث- تتجاوز السعي لقراءة الخطاب السياسي عبر نظريات حديثة، إلى فك مغاليق الخطاب، وسبر أغواره، وكشف مكنوناته، ورصد أبرز قضاياه، التي تشكل بؤرة تحف الحجاج، وتحتويه.

من هذه المنطلقات يلتمس موضوع البحث أسئلته، فكيف تعامل الملك فيصل مع

الأزمة السياسية التي كانت تهدد المنطقة العربية، وتستهدف أحد المقدسات الإسلامية؟ وما هي منطلقات الخطاب الحجاجي لدى الملك فيصل، وما مدى نجاعتها في خلق مناخ من الانفعال والاقتناع؟ وكيف بنى الملك فيصل أبرز استراتيجياته الحجاجية التي اعتمدها في المحافل الدولية والعالمية؟ وما هي الأسس التي كان يبني عليها نظمه الحجاجية؟ وما هي البؤر الحجاجية التي كانت تؤسس حجاجه وتستدعيه؟ وآخر هذه الأسئلة وجامعها، ما مدى قدرة النظريات الحجاجية الحديثة على إمدادنا بأدوات تمكننا من دراسة الخطب السياسية السعودية، وتحديداً خطب الملك فيصل السياسية؟ وكيف مكنتنا هذه النظريات الحجاجية المركبة، من تحليل آلية المزج بين النص ومحيطه وقائله ومتلقيه؟ وكيف أسهمت في فهم الحوامل النصية، التي تتمثل في النصوص السياسية المتداخلة، ذات الأبعاد الدينية، والسياسية، والتاريخية، والثقافية، والاجتماعية.

إن الحديث عن أهداف الدراسة يكمن في الإجابة عن الأسئلة السابقة، في فضاء يسمح لنا بإلقاء الضوء على جوانب مهمة من الأحداث التي شهدتها المملكة العربية السعودية تلك المدة، وجوانب مهمة من شخصية الملك فيصل -رحمه الله-.

منهج البحث:

تتميز النظريات التداولية باعتمادها على المناهج المركبة، على اعتبار أن الخطاب الإنساني يصدر بدوره عن فكر مركب، مازجة بين العلوم المنطقية والبلاغية واللسانية والنفسية والاجتماعية، ومعيدة النظر في مبدأ التخصص من خلال القول بتفاعل العناصر والمكونات، عن طريق استعمال الآليات التي تبرز الاختلاف باعتباره أساساً للتآلف الفكري. ويقع الحجاج في قلب هذه النظريات التداولية، فهو نشاط للتفكير في كل ما هو قابل للنقاش من آراء وأفكار ومواضيع، وهو عملية تتفاعل فيها اللغة مع الإنسان والعالم، مما يكسبه تجدداً وثراء يرتبط بثراء الذات الإنسانية وبتغير وتجدد العالم حولها(*).

"وإن كان الحجاج في أبسط صوره هو الجامع بين أقسام المنطق"(**)، فإن المقاربات الحجاجية تتعدد بتعدد المداخل التي يعتمدها الباحث، وقد جعلنا التصور الأرسطي الجديد - في هذا البحث- أساساً للمقاربة، المتمثل في آليات ومفاهيم بلاغة الإقناع الإحيائية الجديدة في مصنف البلاغة الجديدة لـ (برلمان) و(تيتيكا)، ثم ننتقل من الجملة إلى العامل عن طريق نظام اللسان الذي انطلق منه (دوكرو) و(أنسكومبر) في مصنفهما: الحجاج في اللغة.

(*) انظر: عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، ص٩.
(**) نفسه، ص٦.

وهكذا توزع البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. تكشف المقدمة عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومنهجه، ويهتم التمهيد بعرض مفهوم الحجاج، ومفهوم الخطاب السياسي، ويكشف عن العلاقة بين الخطاب السياسي والحجاج، كما يستعرض نبذة عن حياة الملك فيصل -رحمه الله-.

وفي الفصل الأول نسلط الضوء على المقدمات الحجاجية التي اعتمدها الملك فيصل في خطبه السياسية، وقد قُسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، كشفنا في الأول عن الوقائع والحقائق، وفي الثاني عن الافتراضات، وفي الثالث عن القيم ومراتبها. ويستعرض الفصل الثاني أنواع الحجج في خطب الملك فيصل السياسية، فيكشف المبحث الأول عن أنواع الحجج شبه المنطقية في الخطاب، ويكشف الثاني عن أنواع الحجج المؤسسة على بنية الواقع، ويكشف الثالث عن الحجج المؤسسة لبنية الواقع، آخذة بزمام النظرية الحجاجية لدى عبدالله صولة -في كتابه في نظرية الحجاج- في شق طريق الخطابة الجديدة، على مستوى الفصلين.

وفي الفصل الثالث نثبت أن الحجاج لا يقوم فقط على الاستدلال والبرهان، والعمليات المنطقية والفلسفية، والأشكال الجاهزة، بل يتجاوز كل هذا إلى البنى الصغرى في الكلام، التي تتمثل في الحجاج عبر اللغة، ويتكون -هذا الفصل- من مبحثين، يكشف الأول عن حجاجية الموجهات التقويمية، ويكشف الثاني عن حجاجية الموجهات التكوينية.

هذا وقد سلكت منهجاً وسطاً في التحليل والتأويل، لا إلى تاريخية التداولية -في هذا الحقل- التي يتطلبها السياق أحياناً، ولا إلى الصرامة المنهجية التي تفرضها النصوص النظرية في كثير من الأحيان.

أما الصعاب التي اعترضت البحث فيمكن إجمالها في قلة وحداثة الدراسات التي تهتم بحجاجية وبلاغة الخطاب السياسي في الثقافة العربية.

والله الموفق..

التمهيد

١-مفهوم الحجاج.

٢-مفهوم الخطاب السياسي.

٣-العلاقة بين الخطاب السياسي والحجاج.

٤-حياة الملك فيصل.

تمهيد

مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح

«الحجة: البرهان. وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم... وهو رجل محجاج، أي: جدِلٌ، والتحاج: التخاصم، وجمع الحُجة: حُججٌ و حِجاجٌ، وحاجّه مُحاجةً وحِجاجاً: نازعه الحُجة، وحجَّه يحُجُّه حَجًّا: غلبه على حُجته... واحتج بالشيء: اتخذه حُجة» [١]. «والمِحجاجُ: الجَدِلُ». [٢] و «الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وإنما سميت حجة؛ لأنها تُحج أي: تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها» [٣].

وعلى هذا يمكن أن نعد القصد والجدل والبرهان والغلبة أحد معاني الحجاج اللغوية, التي يحدث بعضها بين طرفين يتساجلان الكلام باستخدام سلاح الحجة؛ بهدف تأثير كل منهما في الآخر.

«وإن كان الحجاج في الأصل يُستعمل لحل ما هو خلافي، باحثاً عن أقرب الأحكام إلى الحق» [٤]، فإنه بهذا يكون بمعنى التفاعل؛ لكونه بيئة للتفاعل من خلال مشاركة الآخر، ضمن أي معنى من معاني الحجاج اللغوية السابقة.

أما دلالة المصطلح فالحديث فيها يطول؛ وذلك «لتعدد مظاهر الحجاج وتنوعها وتعدد استعمالاته وتباين مرجعياته... إضافة إلى استمرار النظرية الحجاجية في التأسيس والتشكل؛ فهي نظرية لم تنغلق بعد، ولم تدخل كنظريات كثيرة حيز الماضي» [٥]، فبعضهم يقسم الحجاج إلى ثلاثة مفاهيم: «مفهوم يجعله مرادفاً للجدل، ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة، ونجده عند اليونان... ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب، وهو المفهوم الأدق؛ ذلك أن الحجاج قد أخذ شيئاً فشيئاً في الاستواء مبحثاً فلسفيًّا ولغويًّا، مستقلاً عن صناعة الجدل والخطابة» [٦].

هذا الاستقلال الذي طرأ على مفهوم الحجاج، والتغيير الجوهري الذي أخرجه من قوقعة المنطق والاستدلال العقلي المحض إلى فضاء الحوار والتفاعل والمشاركة، كان دافعاً إلى بحث ما إذا كانت هذه النظريات الجديدة قادرة على استيعاب ما ينطوي عليه الخطاب السياسي.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، مادة (حجج).

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (حجج).

(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (حجج).

(٤) صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج، ص١٥٥، (بتصرف).

(٥) قادا، الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا، ص٣٥.

(٦) صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٨،٩.

سأنطلق من مفهوم (بيير أوليرون)، الذي أظنه من أوسع مفاهيم الحجاج، مع تقاطعه الكبير مع غيره من المفاهيم الحجاجية، يقول: الحجاج هو «إجراء بوساطته يحاول شخص -أو جماعة- حمل مستمع على تبني موقف من خلال اللجوء إلى عروض أو إثباتات، تهدف إلى إظهار صحته أو صوابه»[٧].

فيكون الحجاج بهذا عملاً اجتماعيًّا، يقصد به إظهار صحة أطروحة أو فض نزاع، من خلال وسائل، قد تسمى حججاً أو براهين أو أدلة. بهذا نجد أن مفهوم (بيير أوليرون) يتقاطع مع الدلالات اللغوية العربية للحجاج بنسبة كبيرة. فكيف تطور الحجاج حتى استقل عن تلك المفاهيم الصناعية الفضفاضة، وكيف استوى مبحثاً فلسفيًّا ولغويًّا كما وصفه صولة.

كان الحجاج في زمن معلمه الأول مرتبطاً بالمباحث الفلسفية، وبقي كذلك -مروراً بأطوار لا تخرج كثيراً عن ذاك الإطار- إلى أن صدر كتابان، الأول كان بمثابة نهضة لزمن الخطابة الأرسطية، وإحياء لذاك الإطار الفلسفي، لكن بثياب أخرى سميت (الخطابة الجديدة ١٩٥٨)، فقد عد فيه صاحباه (برلمان) و(تيتيكاه) الحجاج بأنه «سليل الخطابة والجدل معا»[٨]، فهو «غير منفصل عن صناعتي الجدل والخطابة بالكلية مع اعتبارهما إياه أقرب إلى صناعة الخطابة، في حين أن نظرية الحجاج التي جاءا بها هي خطابة جديدة»[٩]، بكل ما يحمله لفظ جديد من قطيعة مع القديم، إلا أنهما -رغم ذلك- يحتفظان بحقيقة نمت في أحضان البلاغة التقليدية وهي «أن كل محاجة برهانية، تنمو بالنظر إلى مستمعين، هذه الفكرة التي تنبثق مباشرة من فهم طبيعة الخطاب»[١٠].

ثم أصبح الحجاج بعد ذلك يعالج في إطار لساني محض مع (دوكرو) و (أنسكومبر) في كتابهما (الحجاج في اللغة ١٩٨٣).

إن الاتجاهات الحجاجية التي ظهرت بعد أرسطو متشعبة ومتعددة. وقد آثرت أن أنتقل من الجملة إلى العامل بالتركيز على هذين الاتجاهين؛ بصفة الأول إحياء لخطابةٍ هيمنت على مفهوم الحجاج لعدة قرون[١١]، إضافة إلى أن «لأزمة الخطاب السياسي بعد الحرب العالمية الثانية دور

---

(٧) Pierre Oleron: L, Argumentation. P4, نقلاً عن: زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص ٢١.

(٨) صولة، في نظرية الحجاج، ص١١.

(٩) صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٢٢، (بتصرف).

(١٠) فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٩٨، (بتصرف).

(١١) تكاد جل الدراسات التي اعتنت بالحجاج تجعل من الدرس الخطابي الأرسطي منطلقاً لها، قصد الاستفادة منه وفق متطلبات العصر والتقدم العلمي ومتطلبات الدعاية والإشهار وفض النزاعات السياسية والاعتراض على الخصوم بالكلام والحجة الدامغة.

-انظر: صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج، ص٧.

في تجديد الدراسات» [١٢] الحجاجية، وتأليف هذين الكتابين؛ فما مفهوم الحجاج عند كل منهما ؟

-مفهوم برلمان وتيتيكاه:

عمل الباحثان في الخطابة الجديدة على تخليص الحجاج من تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور، كما عملا على تخليصه من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب في وضع ضرورة وخضوع؛ فالحجاج عندهما معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي الآخر، بعيداً عن اللامعقول الذي يطبع الخطابة، وبعيداً عن الإلزام الذي يطبع الجدل، ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره [١٣] .

«ويعرف المؤلفان موضوع نظرية الحجاج بقولهما: هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، أما الغاية منه فهي -كما ذكر المؤلفان- أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، وهذا يكون في منطقة وسطى بين الاستدلال والإقناع» [١٤] .

فالخطابة الجديدة هي محاورة، يقاسم فيها الخطيب جمهوره أرضية تفاهم واحدة، ومقدمات ومنطلقات واحدة في الحجاج، مثل: الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم وطريقة ترتيبها. وقد حصر (برلمان) و(تيتيكاه) أشكال الحجاج في تقنيتين، إحداهما اتصالية[١٥] ، تدخل في نمطيةٍ استقرائية تقوم على ضبط نمط أشكال حجاجية تُستخرج اختبارياً، وهي على ثلاثة أشكال: الحجج الشبه منطقية التي تستمد طاقتها الإقناعية في مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، والحجج المؤسسة على بنية الواقع من قبيل الربط السببي وحجة السلطة، والحجج المؤسسة لبنية الواقع شأن المثل والشاهد [١٦] .

---

(١٢) كريستيان بلانتان، الحجاج، ص ٢١. شهدت العصور الحديثة في السياسة أوضاعاً وعاشت تقلبات ولدت الاختلاف في الرأي، وفتحت فضاء للخطاب والخطاب المضاد. ومن ذلك ما تضمنه تاريخ أوروبا الحديث، حينما استفاد النظام الرأسمالي استفادة كبرى من النقد الذي كانت توجهه إليه الماركسية باستساغته وتحويله إلى عوامل تعديل وتقوية. وربما كان من أسباب تهاوي النظم الاشتراكية اكتفاؤها بما عندها وسد الأذن أمام النقد الرأسمالي. كما شهدت تلك الفترة أزمات في الحكم خطيرة بظهور الأنظمة الكليانية التي تصادر الحريات وتحاصر الرأي الحر والمناقشة الجريئة. هذه بعض الروافد التي كانت تؤسس للتنوع والاختلاف، ومن ثم الاختيار المبني على المناقشة وسلطة اللغة والنص، وقد فتح ذلك أمام البشرية فرصة مهمة لمحاربة التسلط والشعور بالفضل والتركيز على الذات، وأصبح خطاب الثقافة مثلاً يقوم في بعض الأوساط على التبادل والتفاعل بنزع عقدة المركزية والاعتراف بالآخر.

-انظر: صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج، ص ٤٢، ٤٦، ٤٧.

(١٣) انظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص ١١، ١٢.

(١٤) صولة، في نظرية الحجاج، ص ١٣، ١٤، (بتصرف).

(١٥) والأخرى انفصالية، وهي «التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة، وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر، تشكل عادة كلاًّ لا يتجزأ». السابق، ص٤١, ٤٢.

(١٦) انظر: بلانتان، الحجاج، ص ٦٥، ٦٦. عبدالله صولة، الحجاج في القرآن ص ٣٠، ٣٢.

-مفهوم دوكرو وأنسكومبر:

إن الحجاج في اللغة كما يرى (دوكرو) و (أنسكومبر) كامن في بنيتها، وهو أن يكون بتقديم المتكلم قولاً (ق١) أو مجموعة أقوال، يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق٢) أو مجموعة أقوال أخرى، فالحجاج عندهما: إنجاز لعملين هما عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحاً بها أو مفهومة من (ق١)[١٧]، أما وظيفة الحجاج عندهما فتكمن في التوجيه، «هذا التوجيه هو الذي يشرع للبحث في الترابطات الحجاجية الممكنة بما أن مسوغاتها موجودة في البنية اللغوية للأقوال وليست رهينة المحتوى الخبري للقول ولا رهينة أي بنية استدلالية صناعية من خارج نظام اللغة»[١٨].

بهذا يصِل مفترق الطرق بالحجاج إلى: البحث في مجمل التقنيات والأدوات والعوامل التي قد تؤدي بالأذهان إلى الإذعان، وبالخطاب إلى النجاعة، سواء كان ذلك مباشراً أم ضمنيًّا، ظاهراً أم مضمراً، فلسفيًّا أم لغويًّا.

٢- مفهوم الخطاب السياسي:

مفهوم الخطاب:

جاء في اللسان: «الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان»[١٩]، وقد ورد لفظ (خطاب) في القرآن بعدة صيغ، منها ما كان بمعنى الحجاج والإقناع في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ ﴾[٢٠].

ويمثل الخطاب «سلسلة أقوال مترابطة»[٢١]، تقوم على «وحدة لسانية، مكونة من جمل متعاقبة... وهو الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة؛ لتبليغ رغباتهم وآرائهم في الأشياء»[٢٢].

يشترك القدماء والمحدثون في ضبط مفهوم الخطاب، فقد ورد في أكثر من موضع بمعنى الكلام. وتحديد ماهيته متوقف على العلاقة التخاطبية؛ فلا كلام بغير تخاطب ولا تخاطب من غير غاية.

والخلاصة أن مفهوم الخطاب مفهوم غامض، ولا يتحدد إلا بتحديد المدخل الذي انطلق منه الباحث والحقل الذي ورد فيه، وبما أنني قد اعتمدت استراتيجية تعدد المناهج من خلال التنقل بين الجملة والعامل، عبر اللغة والمنطق والفلسفة؛ فإن الخطاب بهذا -في أيسر صورة- يكون: كل ملفوظ مرتبط بمقام تواصلي، يتضمن أطرافاً متقابلة.

---

(١٧) انظر: صولة، الحجاج في القرآن، ص ٣٣.

(١٨) صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج، ص ٣٥٢.

(١٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب).

(٢٠) الآية من سورة ص رقمها ٢٠.

(٢١) كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، ص٢١٥. وانظر الصفحات ٢١٢-٢١٦.

(٢٢) باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص١٨٠، ١٨١. وانظر الصفحات ١٨٢-١٨٩.

الخطاب السياسي:

يمتلئ الفضاء العمومي السياسي باتجاهات وجماعات مختلفة، تصل فيه درجة الاختلاف إلى التناقض والمعارضة، الأمر الذي ساهم بشكل مباشر في تشكيل لغة الخطاب، فهي «لم تكن... في يوم من الأيام لغة وصفية خالصة؛ لكنها كانت دوماً لغة متعددة المستويات والمراجع. فهي لغة يختلط فيها الوصف بالتقييم، والتدوين بالأمر، والرصد بالتوصية، كما أنها لغة تقتبس من العلم والدين، كما تقتبس من التكنولوجيا والشعر مثلما تقتبس من الفن والأسطورة» [٢٣]؛ وهذا يعني أن الخطاب السياسي منفتح على كل الخطابات الاجتماعية الأخرى، فيصبح «سلطةً قائمةً بذاتها» [٢٤]، وهو: «نص موضوعه الفائدة أو الخسارة، ووظيفته الحض أو التحذير، وانفعاله الخوف أو الأمل، وزمنه المستقبل. وهو متعدد الأصوات والمقامات، معقد البنية، عميق الأثر في الناس» [٢٥].

٣- العلاقة بين الخطاب السياسي والحجاج:

تضمّن الحديث في الخطاب السياسي فكرة مفادها أن الخطاب السياسي يستقي قاموسه ودلالاته من كافة حقول الحياة الاجتماعية، في حين أن الحجاج يرتبط بمختلف المعارف والعلوم والفنون؛ وبهذا تكون العلاقة بينهما علاقةً تلازمية، فلا خطاب سياسي بغير حجاج، ولا حجاج بغير لغة -كانت سياسية أم في أي حقل آخر- فالخطاب هو نقطة الالتقاء التي لا ينفك عنها الحجاج في علاقته بالسياسة.

والخطاب مرادف للكلام والتكلم، وهو كما يعده البلاغيون العرب: «كلام بليغ، يصدر عن متكلم كفء، ويتوجه إلى مخاطب مؤهل لتلقيه» [٢٦]، فالعلاقة بين الخطاب والحجاج من جهة -بصفة أن كل كلام بليغ لا يكون إلا بهدف الإقناع- وبين الخطاب والحجاج والسياسة من جهة أخرى، بصفة أن الخطاب السياسي يشترك مع باقي الخطابات في عناصر الخطاب، «ويتميز عنها بكونه أقوى الخطابات تمثيلاً للمعطى التداولي» [٢٧].

والحجاج اليوم «يريد أن يقنع بأهميته لا من جهة أنه منهج لدراسة نصوص الخلافيات، إنما من جهة أنه يجد الحجاج في صلب اللغة، وفي العادي من الكلام مما يدور بين الناس في مبادلاتهم اليومية» [٢٨]، فكل خطاب حامل لغوي، وبالتالي «حتماً حجاجي، فهو نتيجة ملموسة للتلفظ في مقام؛ وكل ملفوظ يرمي إلى التأثير في المرسل إليه، في الآخر، وتبديل نسق فكره، وكل

(٢٣) سبيلا، للسياسة بالسياسة: في التشريح السياسي، ص ١٥.

(٢٤) قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، ص١١٨.

(٢٥) نفسه، ص ١١٧ (بتصرف).

(٢٦) قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، ص١١٤.

(٢٧) نفسه، ص١٧.

(٢٨) صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص٩٦.

ملفوظ يجبر أو يحمل الآخر على الاعتقاد وعلى النظر وعلى الفعل بطريقة غير طريقته» [٢٩] .

والخلاصة أن الحجاج كامن في اللغة، منذ أن أصبح التواصل أساس العلاقات، ومنذ أن لجأت الجماعات الإنسانية إلى تنظيم المبادلات عن طريق اللغة والحوار والتفاعل، فباللغة أصبح كلُ تواصلٍ حجاجاً، «من الصداقة إلى الحب، ومن السياسة إلى الاقتصاد؛ فكل خطاب تواصل وكل تواصل حجاج» [٣٠]

٣ – حياة الملك فيصل:

ولد فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بمدينة الرياض، في شهر صفر من عام ١٣٢٤هـ.

والدته طرفة بنت الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، حفيدة الإمام الشيخ محمد ابن عبدالوهاب. تربى في بيت جده لأمه الشيخ عبدالله آل الشيخ وتلقى على يديه العلم، وقد جمع الفيصل بهذا فضائل البيتين، فجمع العلم والدين، والسياسة والشجاعة.

أدخله والده في السياسة في سن مبكرة، فأرسله وهو في الثالثةَ عشرة من عمره لتمثيله في بريطانيا، كما كلّفه بإجراء العديد من المعاهدات والتوقيع عليها نيابة عنه، إضافة إلى عدة أعمال، فعمل نائباً عن والده الملك عبدالعزيز في الحجاز عام ١٣٤٤هـ، وتولى رئاسة مجلس الشورى عام ١٣٤٥هـ، ثم شغل منصب أول وزير للخارجية في الأول من رجب عام ١٣٤٩هـ، إضافة إلى عدة مهام أخرى [٣١] .

بويع ملكاً على المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء ٢٧ جمادي الآخرة عام ١٣٨٤م.

شهدت الساحة السياسية مدة حكم الملك فيصل أحداثاً وتطورات، خصوصاً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، حتى عد المؤرخون مدة حكمه بالمدة الأكثر حسماً في تاريخ القضية، فقد شهدت هذه المرحلة العديد من التطورات المؤثرة على أكثر من صعيد، منها ما يتعلق بالاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية، ومنها ما يتعلق بصدمة الفرد العربي التي أدت إلى محاولة الدفاع عن الأرض الفلسطينية عن طريق الثورة على الحكم العربي، ومنها ما يتعلق بالمذاهب التي بدأت تجمع أنصارها تحت قناع القضية الفلسطينية.

---

(٢٩) بلانتان، الحجاج، ص٣٤.

(٣٠) مدقن، الخطاب الحجاجي: أنواعه وخصائصه، ص٦٩ (بتصرف)

(٣١) كما شارك في سن مبكرة في المعارك الحربية التي خاضها والده لتوحيد البلاد، فاستطاع منذ شبابه أن يكون موضع تقدير، الأمر الذي جعل الملك عبدالعزيز يقول: كنت أود لو رزقني الله مثل الفيصل توأماً. انظر: السجل الذهبي للعظماء، مركز الأبحاث والدراسات الدولية في دار الرأي العام، ص١٥٩، نقلاً عن: عبدالرحمن الحصين، فيصل بن عبدالعزيز آل سعود وجهوده في القضايا العربية والإسلامية، ص١٥.

كل هذه الأحداث أدت إلى تحرك عاجل من الملك فيصل؛ فتبنى مشروع حركة التضامن الإسلامي الرامية إلى إقامة تعاون وثيق بين دول العالم الإسلامي قاطبة، فأنشئت رابطة العالم الإسلامي، التي كان لها الريادة في تنظيم عقد مؤتمر القمة الإسلامي الأول عام ١٣٨٤هـ، فكان من أبرز قراراته دعوة الدول الإسلامية إلى فرض الحصار الاقتصادي على إسرائيل، وبالمقابل إقامة مشاريع اقتصادية وصناعية وزراعية في فلسطين؛ توثيقاً لارتباط المسلمين بها مادياً وروحياً.

هكذا كان الملك فيصل وفيًّا للمسلمين وللقضية الفلسطينية، فقد كرّس وقته وجهده وطاقته وإمكانات دولته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقد أثمرت سياسته ثماراً طويلة الأجل، لم تنته بوفاته، ولم تتوقف بحلول عهد بعد عهده.

استشهد يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ [٣٢].

(٣٢) انظر: حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ص٣٤٧، ٣٤٨. عبدالرحمن الحصين، فيصل بن عبدالعزيز آل سعود وجهوده في القضايا العربية والإسلامية، ص١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦٣، ٢٤١، ٢٥١، ٢٦٨. معجم السفراء السعوديين، ص٥٩، ٦٠. السيد عبدالحميد الخطيب، الإمام العادل، ص٢٥.

الفصل الأول:

مقدمات الحجاج.

١- الوقائع والحقائق.

٢- الافتراضات.

٣- القيم.

الفصل الأول

مقدمات الحجاج

كان لجهود (برلمان) أثر في إحياء الخطابة الأرسطية، وتنشيط الحركة البلاغية بوجه عام؛ حيث احتضن منهجه الإحيائي الجديد إعادة تأسيس المحاجة الاستدلالية في استحضار للبلاغة الأرسطية، التي جعلت المنطق أحد تقنيات الحجاج، وجعلت من الاستدلال سبيلاً لولوج العاطفة عمق المنطق، عن طريق المقدمات التي تُرَتب من خلالها الحجج؛ فتزيدها قوة وتمكنها من ذهن المخاطب، «فهي مدعوة إلى استمالة الأعناق، وحل السخائم، وجلب ود السامع مع الزج به في غمرة القضية» [٣٣]، فلا يجد المتلقي منفذاً إلى استضعاف الحجة، بخلاف نقضها أو الخروج عن دائرة الإذعان لها والتصديق بها والعمل كذلك؛ فيصِل الخطاب بها إلى النجاعة [٣٤] ويبلغ بها المستمع مستوى عالياً من الاقتناع [٣٥] الذي سبقته مراحل من الإقناع تمثلت في الخطيب وخطابه ووسائله وتقنياته، التي تعتمد الإقناع الذي مداره الحجاج والمنطق العقلي، بعد أن كان صناعة تقوم على التأثير والانفعال النفسي.

فسياسة الإقناع التي يعتمدها الباث في خطاطة حجاجية محددة، تنطلق من المقدمات التي يلتقي فيها المتلقي بالخطيب، وفق ضوابط التداول الحجاجي. هذه المقدمات هي التي ستصل بالخطاب إلى النجاعة، وهي غاية الحجاج. فما المقصود بالمقدمات، وكيف عرضها صاحب الخطابة الجديدة:

«إن مصادر الحجاج -بحسب التداولية- هي مضامين الكلام، أي: هي الجهات التي يقصدها المتكلم ليأخذ منها الحجج، وهي الأطر الفكرية التي تنتظم فيها الأقوال» [٣٦]، ولا تكون تلك المضامين حجاجية إلا بعد أن تخضع لآلية توظيف معينة، يعتمدها الخطيب لتصبح حجاجية، ويكون هذا عبر اختيارها وتنظيمها، من خلال تقنيات ووسائل لغوية؛ للانتقال مع هذه المقدمات من مستوى اللغة والخطاب، إلى مستوى التفاعل والتخاطب.

---

(٣٣) صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص ١٠٥.

(٣٤) إن الوصول إلى النجاعة أو الغرض الحجاجي يتم عن طريق جعل موضوع الخطاب ممكناً بالرجوع إلى العقل، ويتحقق هذا عبر الحجج المادية المعتمدة على الوقائع الموضوعية، وعلى الخلفية العامة المكونة من آراء المجتمع. وهذه النجاعة مرتبطة بمدى الاستناد إلى توافق وتلاؤم مع مستوى المستمع. انظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص٢٥، عبدالهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص ٣٤٣.

(٣٥) «إن المرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة. أما في حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائما». صولة، في نظرية الحجاج، ص ١٥.

(٣٦) رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، ص ٧٧، (بتصرف).

ثم إن ضرورة اختيار المقدمات مبني على تقبل الجمهور؛ «لأن بناء الحجاج مرتبط أساساً بتنوع المعنيين به، فهم المقصودون بفحواه، المطالبون بإنجاز محمولاته، المشاركون في صياغته وإخراجه» (٣٧) ، أي: أن الناتج الحقيقي للعملية الحجاجية لا يتم إلا عبر الأنا والآخر معاً (٣٨) ، فيرى بعضهم أن لا وجود لحجاج من دون اتفاق مسبق بين الباث والمتلقي، هذا الاتفاق يتعلق بالأطر الفكرية، وما تنطوي عليه الاستراتيجية الحجاجية التي يعتمدها المرسل لتحضير الحجاج واستخدامه، «فالملاحظ أن الفعل الحجاجي لا يتمثل في تشكيل الرأي وصياغته في قالب حجاجي فقط، ولكنه يتمثل بصفة خاصة بدعم هذا القالب الحجاجي بعنصر مقبول سابقاً من المتلقي. وبصفة ملموسة، فإن البحث عن اتفاق مسبق يتحقق بواسطة تحديد نقطة ارتكاز، انطلاقاً من موضوع مقبول من المتلقي سلفاً» (٣٩) .

فالخطاب «ليس أبداً حدثاً معزولاً، بل على العكس من ذلك، فإنه يقابل خطابات سبقته أو ستليه، التي قد تكون ضمنية. فالقاعدة الأساسية للبلاغة هي أن الخطيب الذي يخطب بهدف الإقناع ليس أبداً وحيداً» (٤٠) ، لذا فالخطيب -كما يرى برلمان- «في حاجة ماسة إلى معرفة الإنسان وشؤون الاجتماع والسياسة» (٤١) ، وترتبط هذه الحاجة بحاجة الحجاج إلى المقامية، فإن كان الرابط بين الحجاج والسياسة هو الخــطاب -كما أسلفت- فإن الرابط بين الحجاج والخطابة هو المقام، فيلجأ المرسل إلى الاستناد إلى عنصرٍ آخر من العناصر التواصلية، يُسمى في النظرية الحجاجية البلاغية (مُعطى أو مُنطلقاً أو مقدمة)، يقدمه الباث في علاقته بالمتلقي، باعتباره طرفاً فعالاً في بناء الخطاب، حاضراً في ذهن المرسل قبل صياغة الفكرة، «فاعتبار حال المستمع في بناء الخطاب يطرح مدى صلابة المنطلقات الحجاجية، فالتوجه نحو مستمع يستتبع انطلاق الخطيب من الأفكار المقبولة التي يتقاسمها معه» (٤٢) .

ويسبق حضور المعطيات الحجاجية (وسيلة حضور)، تتمثل في استحضار المرسل لتلك

---

(٣٧) الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، نقلًا عن: استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري، ص٢٤٧.

(٣٨) هنا تفترق الطرق بالفلســـفة من المنطق البرلماني الاستدلالي، واليقين الديكارتي الرياضي، الذي يلغي التفاعل -أساس العملية التداولية- ويعزو نجاح العملية الحجاجية كاملة إلى الأنا المتكلمة، ملغياً دور المتلقي في العملية التواصلية الذي يشغل أحد أطرافها.

(٣٩) فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص٧٣. والغالب على التأليف في الخطابة من (أرسطو) إلى اليوم أن الخطيب لا يبتدع تلك الحجج أو ينشئها بالنص من غير رسم؛ وإنما هي موجودة، يكشفها أو يكشف عنها، يجدها في المشهورات والمواضع، وما عليه إلا أن يربط بينها حتى تكون بنيتها الاستدلالية محكمة. انظر: حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي،١٠٤.

(٤٠) أوليفي روبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها، نقلا عن: استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري، ص ٢٢٠.

(٤١) عبدالمجيد، البلاغة والاتصال، ص ١١٠.

(٤٢) العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص ١٦.

العناصر وجعلها ماثلة في الخطاب، من خلال تقنيات ينتقيها المرسل، تتمثل في (الوسيلة)، فيخرج الخطيب «ما يعتبره مهمًّا بالنسبة إلى حجاجه من حيز الغياب إلى حيز الحضور.. فالعاطفة لا تأخذ في الاعتبار إلا الحاضر، وهو ما يعني أن الحاضر من حيث هو ظاهرة نفسية، عنصر جوهري في الحجاج» [٤٣] . هذا فيما يخص وسيلة الحضور التي تضمّنها مشاغل الخطيب، أما طرق العرض فالحديث عنها في الفصل الثاني.

وإن كان الاستناد إلى قواعد الاستدلال [٤٤] في الانطلاق في العملية الحجاجية يسمى (إثباتا داخليًّا)، وهو ما تقوم عليه أغلب الصناعات الحجاجية المستندة على هذه المنطلقات؛ فإن هناك طريقة أخرى تسمى (إثباتاً خارجيًّا)، تتمثل في استدعاء المرسل لأدلة خارجية يقبلها المتلقي، وهذا غالباً ما يكون في الحوارات الحجاجية.

ولما كان الاستدلال عملية ذهنية تعتمد مراحـــل، تستند إلى مقدمات وتحيل إلى نتائج -في خطية منطقية-، فإن المرحلة الوسط بين المقدمات والنتائج هي (التكوين)، وبها تُدمج الأدوات بالتقنيات، لتتكون الحجة من خلال أنساق ضمنية، تجمع الحجاج بالاستدلال في إطار فلسفي ضمن مدار واحد، «ومركز هذا المدار هو عرض الحقيقة العقلية/اللفظية عرضاً استدلاليًّا متماسكاً تواكبه إجراءات حجاجية، معروضة في تناسق، مع إنجازات لسانية وبلاغية وتداولية وغيرها» [٤٥] .

وينبغي أن أُشير هنا إلى أن لتنوع الجمهور المعني بالخطاب أثراً في صناعة الحجاج وتوجيهه، فالخطاب السياسي لدى الملك فيصل -كما سنرى- موجه إلى جمهورين، الأول جمهور خاص، يؤمن بالقضايا التي تتصل بسلام المنطقة ويدعمها، أما الجمهور الثاني فجمهور عام، قد يكون محايداً لا تعنيه القضية التي يتضمنها الخطاب السياسي؛ فتكون سياسة الخطاب هي الإقناع، أو يكون منكراً مماحكاً متناقضاً؛ فتكون سياسة الخطاب هي الهزء والدحض.

«إن صنفي الجمهور هذين ينتج عنهما... خطابٌ حجاجيٌّ مركبٌ، تجتمع داخله قيمتا المساندة والحث والاستدعاء في الأول، والنفي والدحض والتفنيد في الثاني، وهذه القيم في جملتها تعمل على تعميق الاعتقاد أو دحضه بما يرتضيه القانون وتجيزه قواعد العدالة»[٤٦].

---

(٤٣) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٣١.

(٤٤) يعرف (بلانشي) الاستدلال بأنه عملية ذهنية متواصلة يتم بها الانتقال من المقدمات إلى النتائج بالاستناد إلى علاقة منطقية تربط الأولى بالثانية.

- R.Blanche, Le raisonnemenl نقلاً عن: محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص ٣٨.

(٤٥) أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص١٢٦، ١٢٧، نقلًا عن: الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد الأمين، ص٣٧.

(٤٦) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص ٩٢.

المبحث الأول – الوقائع والحقائق:

١- الوقائع:

وتعد الوقائع من التصديقات المادية الشائعة؛ ذلك أنها تتكون من «الأحداث التي تقع أمام أعين الناس فيتفقون على وجودها، ويتخذون منها مادة للحجاج» [٤٧] ، فالوقائع «تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص، أو بين جماعة من الناس، فلا تكون عرضة للدحض والشك، فالحجاج بالوقائع -بحكم انطلاقه من مشهورات- يجعل المتلقي يسلم بالنتائج بعد مناقشة المنطلقات واقتناعه بها. فالتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوباً منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق» [٤٨] . ومن ذلك ما قاله الملك فيصل في بداية الخطاب الذي ألقاه يوم عدوان إسرائيل على الدول العربية: «لقد استجابت المملكة العربية السعودية حكومة وشعباً لداعي الواجب، فأرسلت بفلذات أكبادها إلى خط الفداء والتضحية عند أول نداء» [٤٩] .

تضمن بداية الخطاب مادة حجاجية من الوقائع القيمية، التي تستنهض الهمم وتؤكد بأن ما يمس المسلمين والعرب هو مساس بالمملكة. وهي مادة حجاجية تستقي قوتها من إجماع المسلمين والعرب على العداء لإسرائيل، والوقوف صفًّا في وجه المحتل، لاسيما أن الخطاب جاء في وقت عدوان إسرائيلي على أكثر من دولة عربية، فبدأ الخطاب بهذه الواقعة، التي وإن كانت تلجأ للقيم، إلا أنها قيم يدعمها زمن الأحداث السياسية، وظفت على أنها واقعة، مشحونة بدلالات دينية وتاريخية وسياسية وعرقية ووطنية.

ومن الصواب المنهجي -كما يرى صلاح فضل- أن «لا أخلط بين مظاهر التأمل العقلي المتصل بالحقيقة، والمظاهر التي تشير إلى تأييد، إذ ينبغي دراسة كل منهما على حدة، مع الاحتفاظ بإمكانية بحث جوانب تداخلهما، أو حتى تطابقهما فيما بعد» [٥٠] ، فالمظهر العقلي المتصل بالحقيقة هو (القيمة المجردة) -كما أشرت في المثال السابق- والمظهر الذي يشير إلى تأييد هو الواقعة (الاعتداء الإسرائيلي الذي يتطلب النهوض مع الأردن)، التي تتضمن توظيف القيم على أنها مادة حجاجية وقائعية مباشرة، تستقي دلالتها من معجم التضحية، وتستمد قوتها الإقناعية من تداخل مقدمتين إحداهما الأشهر في الصناعات الحجاجية (الوقائع)، والثانية هي الأقوى في إقناع متلق كوني (القيم).

وفي موضع آخر من الخطاب يقول الملك فيصل: «هم بحاجة الآن إلى تضميد جراحهم ومد يد العون للأسر التي سقط دماؤها في ساحة الشرف والجهاد» [٥١] . يتضمن الخطاب مادة إخبارية،

---

(٤٧) رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، ص٧٨.

(٤٨) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٢٤، (بتصرف)، وانظر للاستزادة: جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص ١١٠.

(٤٩) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٤٨.

(٥٠) بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٩٧، (بتصرف).

(٥١) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٤٩.

سردية، تحكي وقائع حسية، تحيل إلى الإقناع عن طريق عرض لوقائع هي في الأصل معنى من معاني الحث على دعم الإخوة في الأردن.

وقد ترد الوقائع على هيئة (حكاية حال)، يصب فيها المتكلم حججه في قوالب سردية وصفية، تتضمن المادة الحجاجية جملاً إخبارية، وهي كذلك وقائع حسية، وصف فيها الملك فيصل حال المنطقة في قوله: «ولا شك أن هذه المنطقة، مع الأسف -منطقتنا العربية والإسلامية في سنواتها الأخيرة- ابتليت بمحن وكوارث، أثرت في تقدمها وازدهارها، وأكبر نكبة هزت هذه المنطقة الصهيونية» (٥٢).

وبهذا تصل هذه المقدمات بالخطاب إلى الملاءمة، ذلك أن الخطاب البرهاني خطاب إجرائي، يقوم على الصناعة، أي أنه خطاب مفتعل -»على أساس أن الإجراء هو طريقة العمل من أجل الوصول إلى نتيجة محددة» (٥٣) - وملاءمة الشكل للمضمون يتم عن طريق التوظيف الصحيح للمقدمات، والخروج بالخطاب من دائرة الإجراء البليغ، إلى دائرة النتيجة الواقعية، «فالقيمة البرهانية لا تتعرض للإهدار ما دام منتج الخطاب يعطي إيحاء قوياً عن نفسه وعن الأشياء، ويقدم لهما صورة لا تحمل المستمع على الفصل بين الإجراء / الواقع »(٥٤).

٢- الحقائق:

وتعد «أنظمة أكثر تعقيداً من الوقائع، فهي تقوم على الربط بين الوقائع. ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية» (٥٥)، كما أن الحقائق «ما يمكن أن يستخلص من الوقائع من نتائج نظرية تصبح مسلمات ضرورية... فالحجاج بالحقائق أبعد تأثيراً من الحجاج بالوقائع؛ نظراً إلى الصبغة العقلية المطلقة للحقيقة، ولأن الوقائع تظل رغم قيمتها الإقناعية العالية جزءاً دالاً على حقيقة جزئية ظرفية، أما الحقيقة فهي كلي عام، مستخلص من الوقائع المتكررة عبر الزمن» (٥٦)، فالحقيقة «تقع خارج الذات المفكرة وضامن الصحة فيها الواقع والعمل» (٥٧).

وبما أن الحقائق هي ما يمكن أن يستخلص من الوقائع، فإن المعنى العام المستخرج من

(٥٢) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٧٩.

(٥٣) فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ١٠١.

(٥٤) نفسه، ص ١٠٢.

- وتُبنى الوقائع -في الفكر القديم- على واقع تواضع الناس على أفضليته -شأن الأحداث والأعمال-، أو على مبتكر، يُصاغ في قوالب إخبارية، يكون الحامل فيها صورة أو جهة معنوية.

-انظر: صالح بن رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، ص٧٩.

(٥٥) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٢٤.

(٥٦) بن رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، ص٨٠.

(٥٧) عبدالمجيد، البلاغة والاتصال، ص ١٠٧.

الحقيقة الظرفية السابقة (استجابت المملكة لداعي الواجب، فأرسلت بفلذات أكبادها إلى خط الفداء عند أول نداء)، هو الحقيقة «لقد كنتم دائماً في الطليعة لنصرة إخوانكم العرب والمسلمين ومواساتهم في آلامهم ومصابهم» (٥٨) . ففي المثالين السابقين، استخدم المتكلم المقدمات في التعبير عن حقائق (أولى) ظرفية، تتمثل في وقوف المملكة مع جيرانها وقت الأزمات والتضحية من أجل ذلك بكل نفيس، وحقائق (ثانية) مستخلصة من الحقائق الظرفية، تتمثل في استعراض لمواقف الشعب السابقة التي أصبحت حقائق تاريخية. والثانية أبعد تأثيراً في الحجاج وأقوى من الأولى، ذلك أن الحجاج بالحقائق ذو طابع عقلي، والحجاج الذي يعتمد الإقناع المنطقي هو الأقوى تأثيراً على المتلقي مهما كان نوعه.

وفي حقيقة ظرفية أخرى، يحث الملك فيصل أبناء شعبه لنصرة أهل الأردن؛ فيقول: «هم بحاجة الآن إلى تضميد جراحهم ومد يد العون للأسر التي سقطت دماؤها في ساحة الشرف والجهاد» (٥٩) ، فتظهر حقيقة أخرى عامة، مستخلصة من وقائع المعارك، التي قد تقع بين طرفين، يرد فيها الثاني على الأول. وفي هذا السياق يقول الملك فيصل: «ليستعيد الشعب نشاطه، تأهباً للمعركة القادمة، القريبة، التي سيخوضها العرب والمسلمون تحت راية الإسلام؛ لتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين» (٦٠) .

«وقد يعمد الخطيب إلى الربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها؛ ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة، كأن يضاف التيقن من الواقعة (أ) إلى النظرية (س) لإنشاء التيقن من (ب). ومعنى ذلك أن التسليم بالواقعة (أ) وبالنظرية (س) يعني التسليم بـ (ب)» (٦١) فإذا افترضنا أن الواقعة (أ) هي قوله: «هم بحاجة الآن إلى تضميد جراحهم» (٦٢) ، وأن النظرية (س) هي (إذا تعافى الشعب الأردني؛ فإنه سيعود للمواجهة من جديد)، فإن إنشاء تيقن عبر (أ) وصولاً إلى (ب) التي تتضمن طرفاً ثالثاً (قد يكون واقعة غير معلومة)، وهي الجهة المتنازع عليها، «لتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين» (٦٣) . وبهذا تتعدى الواقعة (أ) عبر قانون العبور المتمثل في النظرية (س) إلى الحقيقة المستخلصة، أو اليقين المثبت (ب)؛ فالشعب الأردني سينهض من جديد لتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

كما يمكن أن تشترك في بناء الحقائق أكثر من نظرية، أي أن النظريات العلمية والمفاهيم

(٥٨) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٤٨.

(٥٩) نفسه، الصفحة نفسها.

(٦٠) نفسه، ص٣٤٩.

(٦١) صولة، في نظرية الحجاج، ص٢٤، ٢٥.

(٦٢) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٤٨.

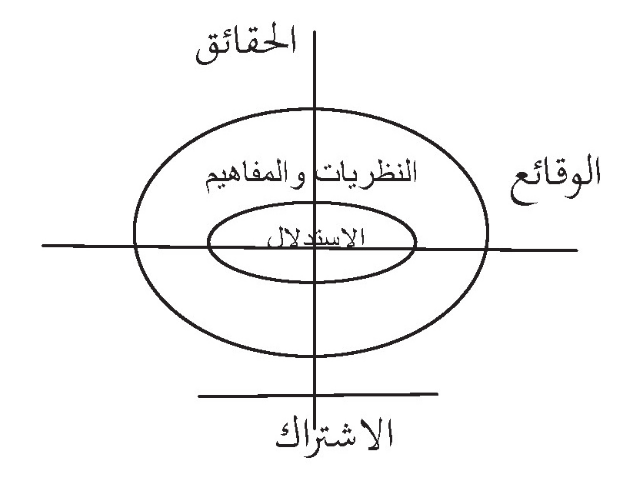
(٦٣) نفسه، ص٣٤٩.

الدينية والفلسفية قد تجتمع في بناء حقيقة واحدة، يمكن استقراؤها أو إعادتها إلى هيكلها الأول الوقائعي، أو رصد قيمها المرجعية. وكما سبق أن أشرت في الوقائع التي وردت على هيئة (حكاية حال)، وعولجت عبر مواد إخبارية، سردية، تحكي حقائق ونظريات مضمنة عبر مقدمات. يقول: «ولا شك أن هذه المنطقة، مع الأسف -منطقتنا العربية والإسلامية في سنواتها الأخيرة- ابتليت بمحن وكوارث، أثرت في تقدمها وازدهارها، وأكبر نكبة هزت هذه المنطقة الصهيونية» (٦٤).

يتضمن الخطاب وقائع ظرفية -سبق الحديث عنها- تتبعها حقائق قيمية، فلسفية، دينية، تفضح مخطط الصهيونية، وتعزز اللحمة الدينية العربية: «جعلت الصهيونية هذه المنطقة هدفها، لتغزوها، ولتعتدي على أبنائها وعلى أرضها ومقدساتها» (٦٥).

إن الحجاج بالحقائق قد يكون نتاج تقاطع عدة أنساق، فهو بناء على بناء، وخلاصة أحداث وقيم ووقائع، تتضمن أشكالاً متعددة، يتقبلها محيطها، وهيكلاً حجاجيًّا أساسيًّا، يتبناه الخطيب، ويبني عليه.

فالمرتكزات النظرية وما يُبنى عليها من هياكل تنظيمية وتطبيقية، يمكن أن يتضمنها هذا البناء، استدلالي النواة، تداولي القاعدة، بلاغي المحاور.



المبحث الثاني- الافتراضات:

وهي مادة حجاجية صناعية، يقصدها الباث مع عناصر أخرى، على أن تلتقي بالجانب الانفعالي لدى المتلقي، «شأنها شأن الوقائع والحقائق، تحظى بالموافقة العامة، ولكن الإذعان لها

(٦٤) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٧٩.

(٦٥) نفسه، الصفحة نفسها.

والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما» [٦٦]، والافتراضات «أفكار وتصورات ثقافية واجتماعية، تشترك فيها مجموعة من البشر في سياق ثقافي مخصوص» [٦٧] . وهي في الأصل حقائق ووقائع، تخضع لتقبل الجمهور واقتناعه بمدى واقعية وفاعلية هذه الوقائع والحقائق بوصفها حججاً تنبع من واقع أطراف الحجاج. يقول الملك فيصل في خطابه يوم العدوان الإسرائيلي على الدول العربية: «وإني لأهيب بأفراد هذا الشعب العريق في جميع أنحاء المملكة أن يبادر لنجدة إخوانه بأن يتبرع كل فرد حسب طاقته وسأفتتح هذا التبرع بدفع مليون ريـال» [٦٨] . فهذه حقائق اجتماعية تعاقدية، تدعمها وقائع ضمنية، ذات قيمة دينية وعرقية، تتضمن وصفاً موجهاً بحسب السلطة المقبولة، وبحسب الواقع المرجعي الذي ينتقل بفعل اتحاد تلك المقدمات مع سلطة المتلقي إلى واقع آخر، وإلى نظرة منطقية أخرى.

ويحدد ما يمكن أن يطلق عليه افتراضاً بالقياس [٦٩] ؛ ذلك أنه يخضع لنزعات عاطفية، تختلف باختلاف التجمعات البشرية، وبمدى علاقة وخبرة الباث بالمتلقي. فالتبرع للإخوان في الأردن جاء في سياق اللحمة الدينية والعربية، وهي خلفية اجتماعية وثقافية مضمنة في حجة تستعمل لتحريك الجمهور، وتوجيهه نحو ما أمر به الخطيب إذا قبِل المتخاطب وافترض أن هذا الأمر هو سلوك واجب، تدعمه حقائق ووقائع يتفق معها، من الوقوف مع المسلمين والعرب عامة ضد المعتدي وإسرائيل خاصة. أما إذا كان المتخاطب لا يتفق مع الخطيب في خلفياته الثقافية والدينية -كأن يكون الخطاب موجهاً إلى الشعب الأمريكي أو البريطاني مثلاً- فإن المحتمل أو القياس المغالطي من متلق غير معني، أنه سيعده من المال المهدر، أو أنها مبالغ قد تستغلها منظمات إرهابية ونحوها؛ فيفقد الخطاب إمكاناته، وتفقد الافتراضات فاعليتها الحجاجية.

إن القياس إلى العادي أو المحتمل يجعل المتلقي يفترض الحركة، أي: أن الممكن أو المتحمل متعدد، وعلى المتلقي أن يقبل أحدها بعد الاتفاق مع اختيار المرسل وقبول حججه. يقول الملك فيصل في معرض حديثه عن التضامن الإسلامي: «وإننا في الوقت نفسه الذي ندعو فيه أمتنا الإسلامية إلى أن نتكاتف ونسعى إلى ما فيه خيرها وعزتها وكرامتها فإننا لا نقصد من وراء ذلك أننا نضمر العداء لأحد أو نريد سوءاً بأحد، إنما نريد الخير لأنفسنا ولمن يريد الخير من غيرنا» [٧٠] ، فالخطاب موجه لمتلقٍ مخصوص، يؤمن بأن الوحدة الإسلامية هي وحدة سلام بالمقام الأول، ثم

---

(٦٦) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٢٥.

(٦٧) رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، ص ٨٠.

(٦٨) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٤٩.

(٦٩) القياس هو «خطاب متكون من ثلاث قضايا بسيطة، وإحدى هذه القضايا، أي: النتيجة، يستدل عليها بالقضيتين الأخريين، أي: المقدمات». بلانتان، الحجاج، ص ٥٤.

(٧٠) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٦٦.

وحدة أمان وقوة، تجعل من افتراضات الخطاب جميعها افتراضات مقبولة، بيد أن الأقوى هي أن الهدف سلمي (لا نريد سوءاً بأحد)، كما أنها وحدة خير (نريد الخير لأنفسنا).

وتتقاطع الافتراضات مع ما يسميه بعضهم الانفعالات، أو حجج التأطير[٧١] كما وصفها (فيليب بروطون)[٧٢].

في خطاب عن (ابتـلاء المنطقة)، يقول الملك فيصل: «الصهيونية ليست صديقة الشرق ولا الغرب ولا صديقة أحد، وحتى بنوها من اليهود فيهم من يعارض ويشجب سياسة الصهيونية»[٧٣].

إذا افترضنا أن من أبناء اليهود أنفسهم من هم ضد السياسة الصهيونية؛ فإن الدول الإسلامية والعربية والصديقة والمحايدة ضدها كذلك، وهذا قد يشكل نصف العالم إن لم يكن أكثر؛ مما يجعل الصهيونية صوت نشاز حتى على أبنائها، وسياسة تستحق العداء من كل العالم. فكل هذه افتراضات تضمنتها وقائع الصهيونية السياسية، وحقيقة بعض أبنائها، مع استغلال إمكانية القياس على النسبة والتناسب في تضعيف موقف الصهيونية، وتعزيز الثقة العربية.

هذه الافتراضات بوصفها مادة حجاجية، تُحيل إلى صناعة هي في الأصل بناء على هيكل موجود مسبقاً، بإمكان المتكلم التصرف بشكله وأبعاده، لكنه لا يستطيع الخروج عن هيكله ومنظومته الأساسية، ومتى ما عمد الخطيب إلى الوقائع والحقائق فحورها وجعل الحجاج ممكناً بالعواطف؛ كان القياس ضرورة.

---

(٧١) وتنطوي على الرجوع إلى القيم والمواضع والسلطة المقبولة، وعلى استدعاء عالم معروف ومشترك يستخدم فوراً بوصفه واقعاً مرجعيًّا. والتأطير وصف موجه، يختلف عن الوصف الإخباري الملتزم بالموضوعية. وهو غالباً ما يكون اقتراحاً لإعادة تأطير مجموعة من الوقائع المقبولة من قبل المتلقي منذ البداية، وعلى المتلقي أن يقبل حركة إعادة التأطير المقترحة عليه التي لا يجب أن تكون بصفة مفاجئة جداً؛ بل بالأحرى عليها أن تكون متدرجة. انظر: بروطون، الحجاج في التواصل، ص ٧٤، ٧٥، ٩٩.

(٧٢) أما (الافتراضات) التي يعنيها بروطون في كتابه «الحجاج في التواصل» فلا تتجاوز كونها قيماً تستقي قوتها الإقناعية من القياس الذي يلجأ إليه الباث، معتمداً الاشتراك -أي: قبول المتلقي- كعنصر مهم في نجاح إعادة تأطير تلك القيم، وسكبها في إطار جديد يخدم المتكلم، وهي استعارات شكلية ومضمونية، تتمثل في الحكم والأمثال.

(٧٣) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٧٩.

المبحث الثالث - القيم:

تعد القيم من أهم مخازن الحجة وأشهرها، وأكثرها تداولاً واستعمالاً، وأيسرها تناولاً؛ و «عليها مدار الحجاج بكل ضروبه... فإنها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسيًّا، فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء»(٧٤). وتعود هذه الشهرة إلى يسر تناولها؛ ذلك أن القيم تتلقى قبولاً وموافقة جماعية عند كل جماعة، باختلاف الثقافات التصورات الإنسانية والاجتماعية.

«وللقيم في نظر (برلمان) دور فعال في بناء الثقة بين المتحاورين، لذا فقد اعتبرها قواعد حجاجية نستند عليها لكي نحمل المخاطب على القيام بأفعال معينة بدل أخرى، كما أننا نستدعيها خصوصاً من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الأفعال التي دعونا إليها مقبولة ومؤيدة من طرف الآخرين، فبالقيم نستطيع تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريده المحاجج، هذا في الوقت الذي تظل فيه هذه القيم محافظة على نصاعتها بعد الاستخدام، مما يجعلها صالحة للاستعمال في مقامات أخرى» (٧٥) .

والقيم أبعد في التعبير عن كونية الخطاب الحجاجي من الافتراضات، فالأولى حقائق كونية، والثانية حقائق ثقافية تعاقدية، لا تخضع لأي مراتبية (٧٦) ذلك أن صناعتها تتولد عن صناعة أخرى؛ فهي نتاج وقائع قيمتها ثابتة، لا تخضع لتراتبية اجتماعية تتولد عنها أنماطٌ صناعية أخرى -كما هو الحال في القيم-.

وفي استقراء لخطب الملك فيصل السياسية تظهر قيم الصدق والعدل والبحث عن الحقيقة في أكثر من موضع، كلها تنادي لمهم غاب عن المشهد السياسي أثناء الأزمة الفلسطينية، يقول في إحدى خطبه: «نرى اليوم ما يُبحث ويناقش في المحافل الدولية وكل ما يبحث أو يناقش بعيد كل البعد عن حقيقة الأمر وعن موضع الداء» (٧٧) ، ويقول: «لنا أكثر من عشرين سنة ونحن ننادي ونجادل ونريد من العالم أن يحكم بالحق والعدل في قضيتنا، ولا نريد شيئاً سوى الحق والعدل» (٧٨) ، «نحن المعتدى علينا، ومع هذا نوصف بالعدوان» (٧٩) .

هذه جميعها قيم مجردة، تحيل إلى ثنائيات متضادة، تشكل إحداها قاعدة تنفي الأخرى أو تُطالب بها. فالقاعدة في المثال الأول والثالث هي الكذب، تقابلها (قيمة الصدق أو إثبات

(٧٤) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٢٦.
(٧٥) الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص ١١٢.
(٧٦) انظر: بن رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، ص ٨٠.
(٧٧) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ٣٨١.
(٧٨) نفسه، ص ٣٨٢.
(٧٩) نفسه، ص ٣٨٠.

الحقيقة) التي يُنادي بها الملك. والقاعدة في المثال الثاني هي (قيمة العدل)، يقابلها الظلم الحاصل الذي ينادي الملك برفعه.

وتخضع القيم «لمراتبية تعاقدية تختلف باختلاف المجتمعات، فهي ذات شكل هرمي، ومن جهة أخرى يمكن للقيم أن تتراتب إذا كان في المجتمع أكثر من تصور اجتماعي وأكثر من فئة ثقافية ومهنية واجتماعية»[٨٠]، فالمستمع «عندما يتجاوب مع الخطيب في احترام القيم الممجدة والإعجاب بها، يندر أن يحكم عليه باعتباره مستخدم إجراء بليغ، لكن من لا تعنيهم هذه القيم لن يروه بنفس الطريقة»[٨١].

وينبغي أن أُشير هنا إلى أن «هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها. فالقيم وإن كانت تسلم بها جماهير سامعين عدة، فإن درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور إلى آخر. وهو ما يعني أن القيم درجات، وليست كلها في مرتبة واحدة. إن ما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها»[٨٢]. فلجوء الملك فيصل لتراتبية القيم في خطاباته التي ترتبط بالقضية الفلسطينية، جاءت في سياق سؤال المساواة، وفي سياق آخر - مرتبط بالأول - جاءت على هيئة تعجب واستفهام.

يقول في حديثه عن صمت العالم عما يحدث في الأراضي الفلسطينية: «لماذا استثنوا العرب فقط من بين العالم كله، فلا أحد يهتم بحقوقهم ولا بارتباطهم بوطنهم ولا باستقرارهم ولا بحريتهم في تقرير مصيرهم؟ لماذا يستثنى العرب فقط من بين العالم»[٨٣].

فتوظيف القيم المادية المحسوسة التي تجعل العرب جزءاً من العالم ثم تنزعه السياسات الغربية التي تدعي المساواة، وحفظ الحقوق والحريات، وهي تُقصي جزءاً كبيراً من العالم، يضم ألواناً وديانات ودولاً وحضارات، فكيف أصبح كل هذا خارج إطار العدل الذي يخضع له -كما يقال- في أنظمتهم كل البشر. ويعزز التساؤل السابق سخرية، تضمنها تساؤلٌ آخر، يقول: «اليوم أسمع فخامة الرئيس (نيكسون) صرح أمام الأمم المتحدة فقال: إن أمريكا لا تطلب شيئاً في فيتنام الآن. يضمن لشعب فيتنام الجنوبية حرية تقرير مصيرهم؛ فهل شعب فيتنام من البشر وشعب فلسطين ليس من البشر؟»[٨٤].

(٨٠) بن رمضان، التواصل الأدبي، ص ٨١.

(٨١) فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ١٠٢.

(٨٢) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٢٦.

(٨٣) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٨١.

(٨٤) نفسه، ص ٣٨١. «وينعكس اهتمامه بالمساواة بين الأمم في معارضته فكرة منح بعض الأمم حق نقض قرارات الأمم المتحدة، ففي نقاشه ضد حق النقض قال: لا يمثل هذا الفصل الكمال كما تخيلته الدول الصغيرة، وعلى الرغم من هذا فهو بلا شك أفضل ما قدمه الأشخاص الذين يمثلون خمسين دولة عانى العديد منها كثيراً

فسؤال العدل وهو أعلى سلم الحقوق، وسؤال الإنسانية وهي القيمة الأعلى على الإطلاق، يجعل الخطاب حافلاً بالقيم الظاهرة والمضمرة (الحق، المساواة، الوطن، الدم العربي، الأرض العربية). فهذه القيم المجردة والمحسوسة تخللها استعراض لسياسة أمريكا مع موقف مشابه، استمدت منه القيم قوتها الحجاجية، مع أنها قيم تجد قبولاً عند المتلقي، إلا أن قوتها في توظيفها على هذه الهيئة، فهي لا تطالب فحسب، بل تدحض كل الادعاءات الأمريكية الداعية للسلام، والمدعية حفظ حقوق الإنسان [٨٥].

وبناء على ما سبق، نصل إلى أن الاتفاق الذي يسميه (بروطون) الاعتقاد المشترك يتم عن طريق هذه المقدمات، التي تستعمل بصفة خاصة في الحجاج. هذا الاعتقاد المشترك «الذي يقتضي بأن العالم والكون الرمزي الذي تنمو فيه وُهِب نظاماً معيناً، وأن هذا النظام قابل للمعرفة على الأقل جزئيًّا. بهذا المعنى تسهم في بناء الكون المرجعي الذي يتبادله شركاء التواصل» [٨٦].

ولا ينتهي الحديث عن هذه المقدمات حتى أعود إلى فكرة جوهرية، أثبتها (برلمان) في خطابته -الفكرة التي يثبتها ما سبق- ومدارها على المتلقي، فالمتلقي «هو المحور لكل من الخطابة القديمة

في كفاحهم لنيل الحرية والدفاع عن الإنسانية».

-محمد العصيمي، سياسة الإقناع في الخطابة الإسلامية لدى الملك فيصل، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٩٧. وانظر: مبارك عمران، موقف آل سعود من القضية الفلسطينية، ص١١٦، وما بعدها.

(٨٥) إن الدحض من وجهة نظر الحجاج يمثل شيئاً أقوى من الاعتراض، فالدحض يقع على الملفوظ عندما يقام الدليل على خطئه، فاستخدام تقنية الدحض، يغلق التحاور، مما يفضي إلى سحب القضية، وأما الاعتراض فيقتضي جواباً، ثم تحاوراً وحجاجاً؛ مما يعني أن الحجاج بالدحض أقوى وأنجع. انظر: بلانتان، الحجاج، ص ٨٤.

-وما يعزز هذا الاعتقاد هو أن «استراتيجية الملك فيصل إزاء المشكلة الفلسطينية كانت واضحة منذ البداية، إذ عد تأسيس دولة يهودية في قلب العالم العربي انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة الذي يدعو إلى الاستقلال والعدالة وحق تقرير المصير لجميع الشعوب. وخلال خطابه عام ١٩٤٧م في الأمم المتحدة عارض تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، وأكد ببلاغة أن فلسطين أرض عربية، وأن منح جزء منها إلى اليهود لم يكن مبرراً وفيه انتهاك لميثاق الأمم المتحدة. كذلك تساءل عن دستورية تقسيم أرض دولة على أساس أصوات الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ فقال في خطابه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة: يجب أن لا يعد اليوم يوماً لفلسطين. إنه في الحقيقة يوم الأمم المتحدة، إنه اليوم الذي ستسود فيه إما العدالة وإما الظلم، إنه اليوم الذي سيؤيد فيه إما صوت الحق وإما صوت الباطل. تذكروا أنكم تعهدتم في ميثاق الأمم المتحدة أمام الله والتاريخ أن تقفوا ضد كل معتد، ولن توفروا أي جهد لتحقيق السلام العالمي والأمن العالمي، أليس ما يحدث اليوم في فلسطين مثالاً واضحا للعدوان؟ أليس ظلما أن تتدخل منظمة دولية (الأمم المتحدة) لتقسيم بلاد كي تقدم جزءاً منها إلى معتد؟ إن بعض الناس يريدون منكم أن تهدموا بأيديكم ما بنيتم بالأمس، وأن تمزقوا الميثاق إرباً إرباً حتى يحققوا أهدافهم».

-العصيمي، سياسة الإقناع في الخطابة الإسلامية لدى الملك فيصل، ص٩٨، ٩٩.

(٨٦) بروطون، الحجاج في التواصل، ص ٩٨.

والجديدة، إذ يصب المقام على قدره مادام هو المراد إقناعه» [٨٧]، فيقول: «ما يجب استبقاؤه من الخطابة القديمة هو فكرة المتلقي، التي ترد إلى الذهن مباشرة عندما نفكر في الخطاب، فكل خطاب موجه إلى متلق، وهو يعد بلغته» [٨٨]، فالمتلقي في الخطابة الجديدة متلق فعال، فهو طرف في بناء الخطاب واختيار المقدمات، التي تتفق جميعها على قبوله.

ويُبنى على ضوء المقام كفاءة المتكلم، فالقيمة الحجاجية ليست في ذات المعطى، كما أنها ليست في ذات المتلقي الذي يشكل عنصراً مهماً في بناء الخطط القولية، إنما تكمن الفاعلية في (الكفاءة)، التي تُخضع القول لمنهج يؤسس على اختيارات منطقية، تصورية تفاعلية، تضمن تتمة الخطة القولية، ونجاح العملية الحجاجية.

---

(٨٧) عبدالمجيد، البلاغة والاتصال، ص ١١٦.

(٨٨) نفسه، ص ١١٧، (بتصرف).

الفصل الثاني:

أنواع الحجج.

١- الحجج شبه المنطقية.

٢-الحجج المؤسسة على بنية الواقع.

٣-الحجج المؤسسة لبنية الواقع.

الفصل الثاني

أنواع الحجج

تشكل التقنيات التوجيهية الحجاجية أشكالاً ومواضع، يمكن اعتبارها معاني ومضامين، كما يمكن اعتبارها طرائق لغوية، تنتظم فيها الأشكال والمواضع الحجاجية، وهي في النظرية البرلمانية على نوعين: طرائق الوصل، وطرائق الفصل.

والطرائق الانفصالية هي «التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر، تشكل عادة كلاً لا يتجزأ، أو على الأقل كلاً متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد. فوفق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد، بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكونة له» (٨٩) .

أما الطرائق الاتصالية -المناسبة لطبيعة الخطب السياسية- (٩٠) فهي «الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها، أي: إبرازها في هيكل أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويماً إيجابيًا أو سلبيًا» (٩١) .

«وتتمثل الطرائق الاتصالية في السياق التداولي النظري في ثلاثة أشكال حجاجية:

- الحجة بوصفها بناء استدلاليًا يستقل بنفسه: الحجة المجردة.
- الحجة بوصفها فعلاً استدلاليًا يأتي به المتكلم: الحجة التوجيهية.
- الحجة بوصفها فعلاً استدلاليًا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع مع نهوض المستمع بتقويم هذا الفعل: الحجة التقويمية» (٩٢) .

وذلك ما سيأتي تفصيله عبر أنواع الحجج في المباحث الآتية.

---

(٨٩) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤١، ٤٢.

(٩٠) ذلك أن الطرائق الانفصالية مرادفة للخداع، فهي حيلة ووسيلة مخترعة لتحقيق غاية معينة؛ لهذا رأى (برلمان) أن أنجع الكلام في الحجاج ما تجنب ضروب الفصل المذكورة. وقد دعا أئمة البلاغة في الغرب لعدم استخدام الخطيب تلك الطرائق في خطبه.
-انظر: السابق، ص ٦٥.

(٩١) نفسه، ص ٤١.

(٩٢) طه عبدالرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٥٥٢، نقلًا عن: الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص ١٣٣، (بتصرف).

المبحث الأول – الحجج شبه المنطقية:

تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من المشابهة، «فتحدد على أنها قريبة من التدليلات الصورية، ولكنها تختلف عنها من حيث إنها ليست ملزمة، وأنها تفتح إمكانية النقاش» (٩٣)، فهذه الطرائق الشكلية «تشبهها فحسب وليست هي إياها إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الاعتراض فوجب من أجل ذلك تدقيقها بأن يُبذل في بناء استدلالها جهد غير شكلي محض. ولكن رغم ذلك تبقى الحجج شبه المنطقية تعتمد البنى المنطقية»(٩٤).

إن نجاعة الحجاج بما يُبنى عليه من طرائق منطقية أو رياضية في «جعل المخاطب يطمئن لقبول ما يلقى على عقله من آراء، وما يبسط على قلبه من أفكار قبولاً جازماً؛ نظراً إلى ما تتسم به هذه الحجج من دقة» (٩٥).

أ – الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية:

وهي أنواع:

١– التناقض:

إن المقصود بالتناقض وعدم الاتفاق «هو أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى» (٩٦)، كقول الملك فيصل بعد العدوان الإسرائيلي على الدول العربية: «لقد استجابت المملكة لداعي الواجب، فأرسلت بفلذات أكبادها إلى خط الفداء والتضحية عند أول نداء. ولكن العدو الغادر عندما علم بمصيره المحتوم على إثر تجاوب الدول العربية، ومن ورائها العالم الإسلامي بأسره؛ فاجأ العرب بشن حرب خاطفة، مفاجئة، دمر فيها المطارات العربية، وشل حركة السلاح الجوي» (٩٧).

جاء توظيف هذه الحجة في إطار منهجية الدحض، من خلال إبراز قضيتين؛ الثانية تقابل الأولى، لكنها تدحضها عبر ثنائية، كان الظاهر منها دلاليًّا يوازي المضمر: (الانتصار– الغدر).

وقد يلجأ الباث إلى البحث عن مواطن التعارض في خطاب خصمه؛ ليبني على ضوئه خطاباً آخر معارضاً، وقد يكون ساخراً؛ لأن التعارض –كما ورد عند برلمان– «بين قاعدتين في ضوء المقام الذي تقالان فيه، يكون مثار هزء، والهزء سلاح الحجاج» (٩٨)؛ فيلجأ صانع الخطاب المعارض

(٩٣) بلانتان، الحجاج، ص ٦٦.

(٩٤) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٢.

(٩٥) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص ١٤٧.

(٩٦) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٢.

(٩٧) مختارات من الخطب الملكية، ج٢، ص ٣٤٨.

(٩٨) صولة، في نظرية الحجاج، ص٤٤، (بتصرف).

لرصد مواطن التعارض والكشف عن «التناقض الذي يحصل داخل النظام المشكلن فيؤدي إلى الخور» [٩٩] . ومن ذلك ما ذكرته في سؤال القيم، حينما أشار الملك إلى خطاب ألقاه الرئيس الأمريكي (نيكسون)، تضمن تناقضاً في القيم التي تدّعيها السياسة الأمريكية، جعل من خطاب الرئيس موطناً خصباً لتعارض في القيم أولاً، ثم تناقض في السياسة الخارجية لدولة من الدول العظمى. يقول: «اليوم أسمع فخامة الرئيس (نيكسون) صرح أمام الأمم المتحدة، فقال: إن أمريكا لا تطلب شيئاً في فيتنام الآن، يضمن لشعب فيتنام الجنوبية حرية تقرير مصيرهم. فهل شعب فيتنام من البشر وشعب فلسطين ليس من البشر؟» [١٠٠] .

وينشأ عدم الاتفاق الحجاجي في حالات يستغلها الطرف الآخر، تقوم على التناقض، وتنتهي إلى الدحض -وقد سبق أن أشرت إلى أن استراتيجية الدحض في الحجاج أقوى من الاعتراض- أي: أن ما يُبنى على عدم الاتفاق غالباً ما يكون في الحوارات الحجاجية، أو في خطاب مبني على خطب سابقة، يستغل فيها المتكلم هفوات خصمه، وتناقض حججه الذي يقود إلى ضعفها، ولا يتم هذا إلا عبر رصد صاحب الخطاب المعارض لمواطن الخور في الخطاب الأول، فيبرزها ثم يدحضها؛ ذلك أن «انعدام التوافق لا يفرض نفسه بل يُفرض، فهو متوقف على قرار شخصي، ولذلك يظل الأمر قائماً في أن ينفيه عند الاقتضاء قرار جديد» [١٠١] .

وفي رد على خطاب محتمل، افترضه المقام، وتضمنه زمن الأحداث ونوعها وأهميتها، وجاء في سياق الدافع، وفي نواة النظام المشكلن، المؤدي إلى قرار جديد بعد دحض التعارض، يقول: «نحن لسنا من المتعصبين للجنس أو العنصر، ولكننا في الوقت نفسه لا نرضى أن نكون ضحية لعنصر من العناصر أو فئة من الفئات» [١٠٢] .

فالخطاب المحتمل هو (نصرة العرب للفلسطينيين عنصرية عرقية)، والمقام (الدفاع عن موقف العرب تجاه القضية الفلسطينية والمقدسات الإسلامية) خصوصاً بعد الحرب الإسرائيلية على الدول العربية. فنجاعة استغلال التعارض هنا هو في إمكانية وجود جمهور كوني، هذا الجمهور هو المعني بالخطاب المحتمل، الماثل في ضمنية الخطاب المعارض.

وبناءً على هذا؛ يمكن القول بأن التناقض الحجاجي يُبنى في الأصل على الرمزية، التي تساهم في تشكيل المعنى بالاتحاد مع عناصر أخرى داخلية وخارجية، «فالكل المعنوي ليس دالاً، وليس بمقدوره أن يكون كذلك، فلكي يتحول إلى كيان قادر على التدليل؛ عليه أن يندرج ضمن

---

(٩٩) نفسه، ص٤٤، (بتصرف).

(١٠٠) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٨١.

(١٠١) ٢٣٦.P .noitatnemugra l ed etiart. نقلًا عن: قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، ص ١٨٦، (بتصرف).

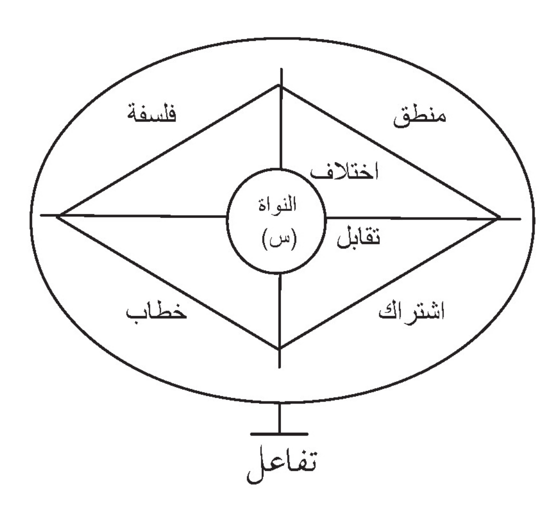
(١٠٢) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٠٤.

سيرورة، هي المبدأ الأساس للإمساك بالأنساق الدلالية والإبلاغية »[١٠٣].

إن التشاكل الحجاجي الذي ينشأ عن الحجاج بالتعارض، يقود إلى بناء تصور نظري يتضمن السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة، ويؤطر المعنى وفق مبادئ فلسفية، وقواعد بناء داخلي، تحتكم فيه اللغة إلى النحو؛ فيكوّن نسيجاً من العلامات، التي تحدد هويتها مفاهيم تداولية ولسانية وسيميائية، وأخرى اجتماعية ونفسية.

فالتصور النظري التشاكلي، وما انطوى تحته من مفاهيم منطقية وفلسفية، يمكن أن يتضمنه هذا البناء، الذي يتكفل بإعادة صياغة قواعد البناء الداخلي، في علاقتها بالمبادئ الفلسفية والمنطقية الخاصة بالمعنى، مع رصد أبعاد هذا التشاكل من وجهة نظر وظيفية سيميائية، وغائية حجاجية.

فتصوير عناصر الدلالة في خطاب تشاكلي حجاجي، يمكن أن يكون على هذا النحو:



وعليه تصبح النواة في النظام المشكلن التشاكلي الحجاجي تعتمد الرمزية، التي تتشكل بمحاذاة القواعد الداخلية الحاملة للعلامات، بصيغة شكلية جامدة، تنتقل بفعل عوامل خارجية، تفاعلية تداولية، من طور النواة والرمز والجمود، إلى طور التفاعل والتداول والحركة، عن طريق عناصر متقابلة، بأشكال خطابية متعددة.

إن التشاكل الذي تفرضه حجج التعارض، يتضمن خواص سيميائية، تحيل الخطاب إلى أجزاء المقام الأخرى -بحسب اتساعه- فأطراف التشاكل الظاهرة، ترمز إلى أخرى مضمرة وتشير إليها، ويضيف نوع المتلقي للخطاب صفة الإمكان بدل الافتراض.

---

(١٠٣) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٥م، ص ٢٣.

١ ـ التماثل:

وتعد نوعاً من أنواع الحجج شبه المنطقية، فهي «طريقة شكلية، نتوخاها في تقويم شيء ما تقويماً إيجابيًا أو سلبيًا بواسطة الحشو» [١٠٤]، ويظهر هذا القالب الشكلي المشحون بطاقات حجاجية في قوله: «سيأتي اليوم الذي ستنادون فيه: هيا، حي إلى الجهاد في سبيل الله، ثم في سبيل الوطن. إلى أين؟ إلى فلسطين، فلسطين السليبة، فلسطين المظلومة، فلسطين الجريحة» [١٠٥] وفي قوله: «فليعترض من يعترض، وليعارض من يعارض» [١٠٦] وفي قوله: «إن هذه القضية ليست قضية سياسية، وليست قضية اقتصاديـة، ولكنها قضية إنسانية، إسلامية» [١٠٧].

٢ ـ الحجج القائمة على العلاقة التبادلية وعلى قاعدة العدل:

ويعتمد هذا النوع من الحجج على البنى المنطقية، وعلى قاعدة «تتمثل... في معالجة وضعيتين، إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة» [١٠٨]، كقول الملك فيصل بعد حديث الرئيس الأمريكي عن الشأن الفيتنامي بعد الحرب العالمية الثانية: «اليوم أسمع فخامة الرئيس (نيكسون) صرح أمام الأمم المتحدة فقال: إن أمريكا لا تطلب شيئاً في فيتنام الآن، يضمن لشعب فيتنام الجنوبية حرية تقرير مصيرهم؛ فهل شعب فيتنام من البشر وشعب فلسطين ليس من البشر؟» [١٠٩]، فهذا يتضمن حجة عكسية، ودعوة إلى تطبيق قاعدة العدل؛ انطلاقاً من أن فلسطين كفيتنام، وكغيرها من الدول في أحقيتها بالحرية، وصولاً إلى تطبيق مقولة: «ضع نفسك مكاني» [١١٠].

وقاعدة العدل «تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة»[١١١]. كقوله: «لماذا استثنوا العرب فقط من بين العالم كله، فلا أحد يهتم بحقوقهم ولا بارتباطهم بوطنهم، ولا باستقرارهم، ولا بحريتهم في تقرير مصيرهم، لماذا يستثنى العرب فقط؟»[١١٢]. وقوله: «هناك مقدسات لكم تدنس وتهان يوميًا، وهي أرض المعراج وأولى القبلتين، وهنا ثالث الحرمين الشريفين فهي لنا جميعاً، ليست لأحد دون أحد» [١١٣]. ففي هذه الأمثلة «يحتكم المتكلم إلى مبدأ

---

(١٠٤) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٥.

(١٠٥) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٣٢.

(١٠٦) نفسه، ص ٣٠٩.

(١٠٧) نفسه، ص ٣٠٤.

(١٠٨) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٥.

(١٠٩) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٨١.

(١١٠) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٦.

(١١١) نفسه، ص ٤٥، ٤٦.

(١١٢) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٨١.

(١١٣) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٥٦.

منطقي هو (التبادلية)، ويقيم احتجاجه على أن التماثل بين أطراف يقتضي معاملتها بالكيفية ذاتها» [١١٤] .

ب - الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

وهي أنواع:

١ - إدماج الجزء في الكل:

إن مبدأ رد الجزء إلى الكل ينطلق من قانون يحتكم إلى علاقات رياضية، فيستمد هذا النوع من الحجاج طاقته الإقناعية من الاتجاه شبه المنطقي القائم على علاقات منطقية؛ «فيكون الحجاج في هذه الحالة قائماً على هذا النموذج: ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء» [١١٥] .

فاستخدام الملك فيصل للملفوظ (إخوان) في قوله: «إن المملكة ستؤيد إخوانها في كل قطر من أقطار الأرض، وإننا لنأمل من إخواننا المسلمين أن يشد بعضهم أزر بعض لما فيه خير دينهم ودنياهم... وسنسعى بكل ما أوتينا من قوة لتوحيد صفوف المسلمين، وزيادة التقارب بينهم، وإزالة ما يشوب علاقاتهم من خلافات» [١١٦] جاء في سياق المساواة التي تفرضها اللحمة العربية والإسلامية، فالعلاقة بين العربي المسلم وبين أبناء الشعب علاقة جزء من كل، فاللحمة العربية والإسلامية تجعل الشعوب العربية المسلمة أجزاء لا تنفك عن بعضها، وبتحديد موقع المتكلم منها أصبح الكل شعبه، والأجزاء هي أخوة لهم من بقية أقطار الأرض.

وفي سياق مشابه يقول: «إننا مع إخواننا العرب في كل ما يهمهم، وفي أي قضية أو مشكلة تعرض لهم» [١١٧] .

«وتكون العلاقة في إدماج الجزء في الكل منظوراً إليها عادة من زاوية كمية، فالكل يحتوي الجزء وتبعاً لذلك فهو أهم منه» [١١٨] . والكل في قوله:» نسعى أن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، وأن ينال كل شعب من شعوب المسلمين، بل من شعوب الأرض كافة حريته واستقلاله، وأن يزول الاستعمار والاستبداد والظلم الذي عانت منه هذه الشعوب طويلاً» [١١٩] هو السلام الذي يدعو إليه الإسلام، فإذا كان الإسلام قد نهى عن أن يقع الظلم على المسلم وغير المسلم؛ فإن السلام الذي سيعم بتطبيقه، سيشمل كل شعوب الأرض. فرفع الظلم، والاستقلال، والحرية، التي ستتمتع بها الشعوب بعد نشر السلام، تمثل أجزاء من مفهوم عام، ترتبط به، وتستمد منه موقعها من الحبكة الحجاجية.

---

(١١٤) قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، ص ١٨٧.

(١١٥) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٧.

(١١٦) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٠٢.

(١١٧) مختارات من الخطب الملكية، ص ٣٠٣.

(١١٨) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٨.

(١١٩) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣١٣.

٢ - تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له:

ويتسم هذا النوع من الحجاج بتناسق شكلي وانسجام مضموني، تستمده من علاقاتها بالأبنية المنطقية التي تجعل الخطاب بيئة لمعاجم تنتمي لمجمع خطابي واحد، و «الشرط في استخدام هذه الحجة القائمة على التقسيم استخداماً ناجحاً، هو أن يكون تعداد الأجزاء شاملاً... إن الغاية الأساسية منها -حسب برلمان- البرهنة على وجود المجموع ومن ثمة تقوية الحضور» (١٢٠).

فالغاية الحجاجية من كشف الأبعاد الأخرى للكيان الإسرائيلي هي تقوية حضور الخطر، فالاستعمار غالباً ما ينشأ عن خداع، وتفكيك النظام الصهيوني إلى أجزائه المكونة له جزء من كشف خدعة استعمارية، لا علاقة لها بأديان سماوية، بل تسير وفق سبل وضعية، صهيونية، أجنبية.

يقول الملك فيصل: «فهذا ما رمى إليه المستعمرون الشرقيون والغربيون حينما أوجدوا في هذا الجسم العربي الصحيح سرطاناً يدخلون منه... ولذلك أوجدوا إسرائيل ابنة الاستعمار، ابنة الشيوعية، ابنة الصهيونية» (١٢١).

فإسرائيل -كما وصفها الملك- كيان استعماري، ينتسب في أصوله القومية إلى جبل يدعى صهيون، الباب الخلفي لخدعة الهيكل، الذي ادعاه الصهاينة للوصول إلى تربة الأقصى، بدعم الشيوعية التي تمثل جزءاً مهمًّا من تركيبة البيت الصهيوني، وبمباركة غربية سياسية، لا دينية. وخلاصة ما تضمنه الخطاب أن الكيان الصهيوني مزيج من المذاهب والتيارات التي اجتمعت بتخطيط دوليّ، فهي كيان استعماري بأجندة خفية، غربية (١٢٢).

---

(١٢٠) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٨.

(١٢١) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٣٣.

(١٢٢) تستخدم الحركة الصهيونية كافة السبل لتحقيق أهدافها السياسية، وقد استطاعت من خلال تأريخ الكتب المقدسة الوصول لأطماعها، وقادة هذا الفكر هم أساطين الفكر اليهودي القديم، الذي نسجوا التوراة في فترة السبي البابلي، وربطوه ليجدوا لهم طريقة للعودة إلى ما يسمونه أرض الميعاد. وتمكن هذا الفكر من تحويل هذه الخرافات إلى معتقدات دينية وسياسية، وما الهيكل إلا فكر أسطوري خيالي، يهدف قادة هذا الفكر إلى إعادة بنائه على أنقاض المسجد الأقصى، تمهيداً لتهويد مدينة القدس. يقول صاحب موسوعة بيت القدس: إن بناء الهيكل خرافي وخيالي نسبه اليهود إلى سيدنا سليمان. وقصة بناء الهيكل لا يعترف بها التاريخ وليس لها مصادر إلا كتب اليهود؛ وبهذا تكون المحاولات لبناء كيان إسرائيلي في القدس مخطط مبني على أسس عنصرية وسياسية، وليست دينية، كما يزعم الصهاينة.

-انظر: عبدالناصر قاسم الفرا، الهيكل المزعوم بين الوهم والحقيقة، ص ٣، ٦، ٩، ١٥. يعقوب حنا أبكاريوس، قطف الزهور في تاريخ الدهور، كتابي، لبنان، ط١، ٢٠١٥م، ص ٥٦ وما بعدها.

-يقول عبدالقدوس الأنصاري، معلقاً على كشف الملك فيصل لحقيقة الشيوعية والصهيونية: «في خطاب هام ارتجله الملك فيصل ونقلته الإذاعة السعودية وتناقلته إذاعات العالم، عن مدى الارتباط المتين الوثيق

وبما أن الغاية من الحجاج بالتقسيم هي البرهنة على وجود المجموع، فإن النتيجة الحجاجية هي تعزيز القوة الإقناعية للمرتكز الحجاجي قبل التقسيم، وإبراز حضور تفاصيل الحجة في ذهن المتخاطب؛ فاقتناعه بالجزء هو جزء من اقتناعه بالكل الذي يقع في مرحلة تسبق الجزء، ولكنها تتبعه في التسلسل الاقتناعي الذهني لدى المتخاطب.

فتقسيم العمل لاسترداد فلسطين إلى الاتفاق، ونبذ الخلافات وتصفية الحسابات وتوحيد الكلمة، جاء ضمن أجزاء العمل الجاد الذي يتعدى بالقول إلى الفعل، يقول: «إن فلسطين لا ترد بالخطب ولا بالاحتجاجات ولا برفع القضايا لدى الأمم المتحدة، وإنما فلسطين ترد بالعمل، والعمل الجدي والاتفاق على نبذ كل خلاف، وكل مواربات ومناورات، وألا تتخذ فلسطين وسيلة للمساومات والمزايدات»[١٢٣].

وفي موضع آخر تحدث الملك عن الجندي المسلم، الذي يدافع عن دينه ووطنه بالسلاح، فجعل الهدف مزية الجندي وليس العتاد، وذلك حينما أدخل حملة السلاح من غير النظاميين في زمرة الجنود، وفصّل في القول حتى جعل كل أبناء الشعب جنوداً، شرط أن يُحمَل السلاح دفاعاً عن الدين والوطن. يقول: «إنني أقوله عن كل جندي، وعن كل حامل سلاح في هذا البلد سواء كان نظاميًّا أو غير نظامي، وسواء كان ملحقاً بالحرس الوطني، أو بالقوات المسلحة، أو من أفراد الشعب فإننا كلنا سواء، كلنا خدمة لديننا وكلنا مؤمنون بربنا»[١٢٤].

بين الشيوعية العالمية، والصهيونية العالمية، يكشف جلالته اللثام عن القناع المزيف الذي تغطي به وجهيها المتحدين، الشيوعية والصهيونية، إنهما شجرة خبيثة واحدة؛ فلا يغتر العالم بمظاهر تنائيهما، فإن هذا أيضاً من مخططات الصهيونية العالمية، وآية انسجامهما أن الذين سعوا وما زالوا يسعون لتبديد قوى الخير وإذاعة الفساد وإغراق العالم بالفتن والحروب؛ ليصلوا بذلك إلى السيطرة على العالم كلهم من الصهيونيين قديماً وحديثاً». مجلة المنهل، ج١، م٣٢، مارس، ١٩٧١م، (بتصرف).

(١٢٣) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٣٣.

(١٢٤) السابق، ص ٣٣٠.

المبحث الثاني- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

يعتمد هذا النوع من الحجج على الواقع الذي ينطلق منه الباث، باعتباره بناء يستنبط منه الحجج والبراهين، أو خلفية، يسعى إلى دمجها بعناصر أخرى وضعية، يدعم بها المتكلم أجزاء خطابه الحجاجي.

وهذا قد يؤدي إلى استدعاء أشكال حجاجية أخرى -شأن المنطقية والرياضية- يجعل منها المتكلم أرضية، يبني عليها خطاطته الحجاجية.

«وتستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها، وتثبيتها، وجعلها مقبولة، مسلّماً بها، وذلك بجعل الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنتمي إلى كلٍّ واحد، يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلَّم بالآخر» (١٢٥).

وجوه الاتصال التتابعي:

١ - الوصل السببي:

إن الحجاج بالوصل السببي -بحسب برلمان- يتطلب مروراً خطيًّا منطقيًّا من سبب إلى نتيجة، أو العكس، وهو على ثلاثة ضروب، منها: التكهن بما سينجر عن حدث ما من نتائج، يتطلب مروراً تتابعيًّا من نتيجة إلى سبب، أو من سبب إلى نتيجة (١٢٦)، كقول الملك فيصل بعد العدوان الإسرائيلي على الدول العربية: «إن إخوانكم في الأردن الشقيق... بحاجة الآن إلى تضميد جراحهم ومد يد العون للأسر التي سقطت دماؤها في ساحة الشرف والجهاد؛ ليستعيد الشعب نشاطه» (١٢٧).

وقد حد (برلمان) الحجة البراغماتية بأنها «الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية» (١٢٨)؛ فتكتسب الحجة بها وصفاً توجيهيًّا، متعلقاً بعملية سابقة تقويمية، تضفي على التوجيه طابع الجذب أو الطرد، بحسب النتائج المنطقية لخطية الوصل السببي المرتبط بالتقويم. فالتقويم في قول الملك فيصل: «يجب علينا أن نعترف بأخطائنا ونواقصنا وأن نستفيد مما حل بنا؛ للرجوع عن هذه الأخطاء، ولإكمال التقصير الذي فعلناه؛ حتى يكون مستقبلنا زاهراً ومبشراً بالخير» (١٢٩) يفترض النتائج الإيجابية، فالربط بين اعتراف العرب بأخطائهم والتعلم منها وبين النتيجة، هو ربط شبه منطقي، مستخلص من حقائق وافتراضات

(١٢٥) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٩.

(١٢٦) انظر: نفسه، ص٥٠.

(١٢٧) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٤٨.

(١٢٨) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٠.

(١٢٩) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٦٦.

تسبق النتيجة المرتبطة بها برابط سببي، إلا أن الصيغة التقويمية الإيجابية تُحمّل الخطاب أبعاداً أخرى توجيهية؛ لهذا عُدت هذه الحجة من أهم وسائل الحجاج، فمن هنا «كان للحجة البراغماتية تأثير مباشر في توجيه السلوك» (١٣٠).

ومن ضروب الحجاج بالوصل السببي «حجاج يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي» (١٣١) كقوله: «إن الواجب علينا اليوم أن نعيد النظر في أنفسنا أفراداً وجماعات وشعوباً وحكومات وقادة ونحاسب أنفسنا؛ لنتعظ ونعتبر» (١٣٢).

٢ - حجة التبذير:

وهي من الحجج المؤسسة على بنية الواقع بواسطة الاتصال التتابعي، «وإن لم تكن ليعتمد فيها أساساً على السببية» (١٣٣)، فالرابط في حجج التبذير هو الاستراتيجية التصاعدية للتقنية شبه المنطقية بعد التقويم، وتتمثل في قول الملك فيصل: «لا أجد اليوم لنا أي عذر أو أي مبرر أن نتقاعس أو أن نتأخر عن أن نعمل بجد، وألا تكون اجتماعاتنا ولقاءاتنا هي عبارة عن خطب أو كلمات رنانة، ولكن يجب أن تكون أعمالاً وأفعالاً، يراها البعيد والقريب، ويحس بها الصديق والعدو» (١٣٤).

إن الحجج المؤسسة على بنية الواقع «تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها... وذلك بجعل الأحكام المسلم بها والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها» (١٣٥). فالتمسك بالوحدة الإسلامية التي يدعو لها الملك فيصل، هي نتيجة، سعى إلى تأسيس معطياتها من خلال عرض لحقائق وافتراضات، جعلت من أجزاء الخطاب المتصل بواسطة كلاًّ ينتمي أجزاؤه إلى عناصر شبه منطقية، في صبغة حجاجية، منطقية، يقول: «فإن كان القصد هو الخير لشعوبنا ولأنفسنا ولأمتنا؛ فيجب أن نسلك سبل الخير، وأن نخلص كل جهودنا لأن ننمي هذه العقيدة وهذه الروح بين أبناء الأمة الإسلامية» (١٣٦).

والتبذير كما نص عليه (برلمان) لا يتعلق في إجرائيته بالدلالة اللغوية للجذر (بذّر)، فقد جعل له (برلمان) قاعدة تشير إلى معنى التبذير الحجاجي المقصود، تتمثل في قوله: «بما أننا شرعنا

---

(١٣٠) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٠.

(١٣١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(١٣٢) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٦٦.

(١٣٣) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٠.

(١٣٤) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٩٠.

(١٣٥) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٤٩.

(١٣٦) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٦٩.

في إنجاز هذا العمل وضحينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال وللجهد؛ فإنه علينا أن نواصل إنجازه» [١٣٧] .

في خطاب مشابه لما نص عليه (برلمان) يحكي الملك فيصل عن استمراره في دعم أشقائه العرب بالدم فضلاً عن المال، يقول: «في الوقت الذي ندعي أننا على استعداد للتضحية بدمائنا، هل يمكن أن نبخل على إخواننا ببعض المساعدات؟ لا يمكن» [١٣٨] .

ب - وجوه الاتصال التواجدي:

١ - الشخص وأعماله:

وتقوم علاقة الوصل التواجدية في ضوء الشخص وأعماله عبر ما أسماه (برلمان) «التداخل بين العمل والشخص» [١٣٩] ، فالحكم على الشخص من خلال أعماله يمثل مرحلة تلي الربط بين وقائع وحقائق وافتراضات، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها، ومن ذلك ما جاء في سياق الحديث عن القضية الفلسطينية، يقول: «لقد استباحت حرمة الأقصى طغمة من الناس كان دأبها منذ فجر التاريخ العدوان والاستكبار وتنكر دعوة الله -سبحانه وتعالى- وقد سبق لهم أن تحدوا نبيهم -صلوات الله وسلامه عليه- حينما أمرهم بأمر ربه أن يدخلوا القرية وأن يقاتلوا في سبيله فكان جوابهم له: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾» [١٤٠] [١٤١] .

فالحكم على (طغمة من الناس) -والمراد بها الصهاينة- جاء في مسار (عمل شخص)، فتلك الزمرة التي تمارس الاعتداء والاستكبار حتى على الأنبياء (عمل)، قد ذكر لهم التاريخ أعمالهم، فضلاً عن محكم التنزيل (شخص). فمن اعتدى واستكبر وتحدى الأنبياء لا يمكن أن يكون إلا من المغضوب عليهم أو الضالين، فالضلال جوهر، وأعمال الاستكبار والعدوان وتحدي الأنبياء تجليات له.

كما أن توظيف الوقائع والحقائق على هذا النحو جاء كآلية من آليات التأويل، التي تلعب دوراً في كشف قصد المرسل، وكما هو معلوم أن «اللجوء إلى القصد أو النية يمثل مناط الحجاج، فهو يربط العمل بصاحبه، ويعيننا على فهم عمله وعلى إمكان تقويمه» [١٤٢] .

فالشاهد القرآني الذي تضمنه المثال السابق يشير إلى وقائع وحقائق، يثبتها القرآن والتاريخ، فالمثبت أن موسى -عليه السلام- توفي قبل أن يدخل أرض فلسطين، وإنه عندما طلب من قومه

(١٣٧) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٠.

(١٣٨) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٧٠.

(١٣٩) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٢.

(١٤٠) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٧٣.

(١٤١) الآية من سورة المائدة رقمها ٢٤.

(١٤٢) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٢.

الدخول ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (١٤٣) فالحجة التي تضمنها الشاهد تحيل إلى تساؤل، كيف يدّعي الصهاينة أن فلسطين لهم؛ وقد سبق أن دعاهم نبيهم للدخول لها وأبوا.

وفي نفس المسار (عمل شخص)، يقول الملك فيصل عن الاعتداء الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية: «كل هذه الجرائم أتت من هذه الزمرة التي تحاول أن تفرض سيطرتها على العالم أجمع وليس على العرب» (١٤٤) . فالجرائم -ومنها الاعتداء والاستعمار- لا تصدر إلا ممن اعتاد الإجرام، فصفة الإجرام جوهر، وفعل الإجرام نفسه تجليات لتلك الصفة.

«إن الشخص مجمل المعلوم من أعماله... ولئن كانت تلك الأعمال تجلو جوهر الشخص وتفسره فإنه في المقابل يمكن أن يكون ما نعرفه عن الشخص هو الذي يفسر لنا ما غمض من أعماله» (١٤٥) . فالضمير العالمي المشوه، أو الميت -كما جاء في ضمنية الخطاب- يمثل شخص النخب السياسية، في مسار آخر وضعه (برلمان)، (شخص عمل)، فالشخص في قوله: «ماذا ننتظر؟ هل ننتظر الضمير العالمي؟ أين هو الضمير العالمي الذي يرى ويلمس هذه المهازل وهذا الإجرام يمثل ويمارس أمام كل ذي بصر أو بصيرة... ومع ذلك نرى في كثير من الأمور يناصرون هؤلاء المعتدين ويؤيدونهم في اعتداءاتهم» (١٤٦) هو الضمير العالمي، الذي تمثله مجموعة من الشخصيات السياسية، المرتبطة في الخطاب بوقائع مؤسفة، تكشف جوهر الضمير، وتعين على تأويل الخطاب على ضوء نية المرسل، التي يكشف عنها المتلقي عبر وقائع محددة، وآراء حول الذات من خلال أعمالها.

إن الحجاج عبر الشخص وأعماله يقوم على العلاقة بين الذات وأعمالها، بقصد الإقناع بفكرة، اعتماداً على قيمة الشخص وأعماله، وارتباطه بالمقام وأطراف الخطاب. كما يعتمد المرسل أحد مسارات الحجاج بالشخص وأعماله التي نص عليها (برلمان)؛ لتأطير الحجاج وتوجيهه بحسب غايته، ولإبراز نية المرسل من خلال تقويم العلاقة بين الذات وأعمالها.

---

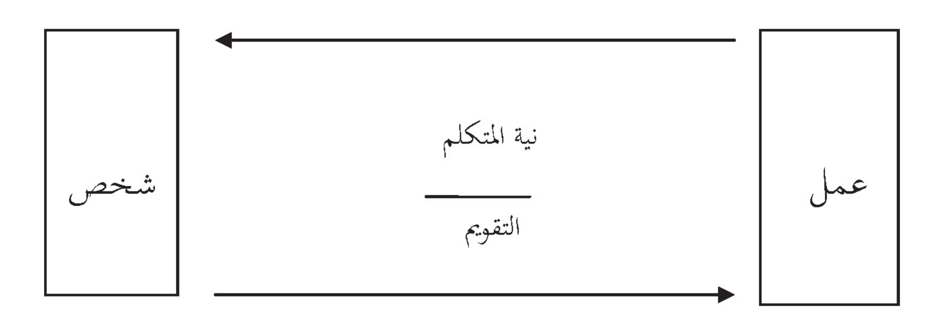
(١٤٣) الآية من سورة المائدة رقمها ٢٤.

(١٤٤) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٧٣.

(١٤٥) صولة، في نظرية الحجاج، ص٥١.

(١٤٦) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٧٤.

ويمكن هيكلة الترسيمة الحجاجية للعلاقة بين المتكلم والذات وأعمالها على هذا النحو:



٢- حجة السلطة:

وهي من الحجج المؤسسة على بنية الواقع عبر اتصال تواجدي، من خلال سلطة شخص أو عمل أو قيمة، كما قد تستند إلى سلطة دينية أو سياسية أو اجتماعية... وقد عدها (فيليب بروطون) من أصناف الحجج الكبرى؛ «فهي تغطي كل الطرائق التي ترتكز على حشد سلطة إيجابية أو سلبية مقبولة من المتلقي» (١٤٧).

ويعد استخدام السلطة الدينية في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي نوعاً من أنواع حشد السلطة الإيجابية؛ ذلك أن أعضاء المؤتمر من رؤساء دول ووزراء ونواب يدينون بالدين الإسلامي، ويمثلون دولاً إسلامية، كما أن اجتماعهم كان لمناقشة الشأن الدولي للدول الإسلامية، يقول: «إننا نرى اليوم في الأمة الإسلامية من التفرقة والتناحر والاختلاف ما ينذر بخطر جسيم، فلماذا التفرق أيها الإخوان؟ ولماذا الاختلاف ولدينا كتاب الله وسنة رسوله؟»(١٤٨). فالسلطة الدينية المتمثلة في قداسة كتاب الله وعصمة حامله، تضمن النجاعة الحجاجية لخطاب موجه إلى متلق مخصوص، من خلال تعميق الاعتقاد بما يرتضيه المتلقي من السنن والقواعد، عبر جملة من الوسائل والتقنيات، والحجج المتداخلة، التي تتفاعل فيما بينها داخل أنسجة الخطاب.

فحجة السلطة «تأتي في الغالب مكملة لمسار حجاجي طويل لتكمل حجاجاً ثريًّا عوض أن تكون الحجة الوحيدة فيه» (١٤٩)، ومادام الحجاج يستخدم اللغة فإنه يتأثر بخصائصها؛ فهي

---

(١٤٧) الحجاج في التواصل، ص ٦١. «وهي مفهوم ذو صيغة مجردة يفعل في كيانات المتقبلين من خلال ضرب من التسلط الرمزي، يقوي به الإذعان ويترسخ من خلاله الاعتقاد في الآراء والمواقف التي ينوي باث الخطاب تمكينها في عقول سامعيه». الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص ٢٩٧.

(١٤٨) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٠٠.

(١٤٩) قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، ص ١٩٦.

دائمة التداخل والحركة، ومن ثم فإن «بعض الحجج تقع على الحدود الفاصلة بين صنفين»[١٥٠]. فحجة الشخص وأعماله المؤسسة على بنية الواقع عبر اتصال تواجدي، تلتقي بالحجاج عبر سلطة الشخص. والفيصل بين هذين النوعين هو المقدمات التي يوظفها المتكلم؛ فتعين على تأويل مقاصده، ومن ثمَّ تأطير الحجة وفق قصد المتكلم.

فتوظيف سلطة الشخص في سياق الدعوة إلى تضامن إسلامي في قول الملك فيصل: «قد سبق أن استفاد (نابليون) من الشريعة الإسلامية حينما حضر إلى مصر، واختلط بعلماء المسلمين، وفهم منهم القواعد الإسلامية فأخذ منها قواعد، بنى عليها نظامه ودستوره الذي لا تزال الكثير من الأمم تأخذ به وتستنبط منه دساتيرها وقوانينها»[١٥١]، جاءت بالاشتراك مع حجة الشخص وأعماله، إلا أن توظيف الوقائع والحقائق التي أصبحت بعد ذلك حقائق تاريخية، جاء في سياق السلطة، لذا نجد أن الدعوة إلى دمج الدين بالسياسة في الدول الإسلامية، والاستفادة من الأنظمة والقواعد الإسلامية في الشؤون الدولية، أمر يتوقعه المسلمون من المسلمين، إذا ما لجأ غير المسلمين لها، أما إذا استفاد القادة من غير المسلمين بقواعد الدين الإسلامي، وانبهروا بها وطبقوها؛ فإن أمر الالتزام بها على المسلمين قد أصبح ضرورة. ومن هنا كانت حجة السلطة -بعد كشف مقاصد المتكلم- أقرب منها إلى حجة الشخص وأعماله.

ومن طرائق القول ما لا يحيد أبداً عن مرماه، فالاستشهاد بالأقوال هو خطاب يؤديه متكلمان اثنان، أحدهما مستشهد يختفي وراء سلطة المتكلم المستشهد به، فيقدم المستشهد دليلاً يؤيد به إثباتاً ما، أو يتمثل به، على أن يكون مقبولاً من المتلقي[١٥٢].

فسلطة الكتب المقدسة في الأديان، وسلطة القرآن الكريم في الدين الإسلامي، آمرة ونافذة، فهي توجه المتلقي بحسب اختيار المتكلم ومضمون النص المقدس؛ «فيستقبلها الجمهور استقبال الرضا والطاعة لا جدال ولا طعن؛ لأنها كلول مجردة وكيانات مرمزة، فعلها من إيحائها وسلطانها من أسمائها»[١٥٣]. وفي سياق الحديث عن التضامن الإسلامي بين الدول الإسلامية يقول: «أرجو أن ندعو الله مخلصين أن يهدي المسلمين وأن يوحد بين قلوبهم ونياتهم واتجاهاتهم ومن ذلك نصر من الله للمسلمين ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ إن الله -سبحانه وتعالى- لما دعا إلى نصرته، لم يكن بحاجة إلى العالم، ولكن العالم هم بحاجة إلى ربهم»[١٥٤].

فالتقديس الذي يتسم به القرآن الكريم «جعل سلطانه لدى من يعتقد به كبيراً، فتغدو التصورات الإسلامية عقائد موجهة، يطرب لها وجدان المؤمن طرباً، لا يثنيه عنه دليل ولا يبطله

(١٥٠) بروطون، الحجاج في التواصل، ص ٧٠.
(١٥١) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٢١.
(١٥٢) انظر: بلانتان، الحجاج، ص ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧.
(١٥٣) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص ١٦٥.
(١٥٤) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣١٠. والآية من سورة محمد رقمها ٧.

برهان. هذه الحقيقة الوظيفية للقرآن الكريم، أحدثت في المجال اللغوي العربي ثبتاً معجميًّا، صارت بمقتضاه الألفاظ ذات معان لم تكن لها في أصل التداول قبل الدعوة»[١٥٥].

وكما رأينا في مضمون هذا العرض الموجز للحجاج عبر السلطة، تظهر ملامح القضايا التي شغلت الفيصل -بوصفه ملكاً للبلاد- تلك المدة، ونادى بها في المحافل المحلية والدولية، مستخدماً أنجع التقنيات الحجاجية في سبيل دعم المسلمين وقضاياهم حول العالم، فاستخدام الحجاج بالسلطة هو من أكثر أنواع الحجج وروداً في الخطب السياسية للملوك المسلمين -فضلاً عن خطب الملك فيصل- ذلك أنها تستحضر الشاهد الديني وما ينطوي تحته من قداسة لأقوال وأماكن وأشخاص ومعتقدات، تستمد قوتها الحجاجية من الخلفيات الدينية والثقافية والاجتماعية للمتكلم والمتلقي على حد سواء.

أما أشكال حجة السلطة -كما وردت في الخطاب- فهي للمثال لا للحصر جاءت متماهية بين حشد السلطة الإيجابية عبر سلطة الدين في مقام دولي يتضمن دولاً إسلامية، وحشد السلطة الإيجابية عبر تضمين الحجاج لسلطة النص المقدس وحامله، وحشد سلطة الشخص وأعماله عبر تضمين الخطاب أسماء لشخصيات سياسية معروفة، تحمل أعمالاً ودلالات وأبعاداً قد تكون دينية، أو سياسية، أو تاريخية، أو ثقافية ونحوها.

فالحضور المكثف للسلطة الدينية في الخطاب السياسي لدى الملك فيصل يشير إلى أولوياته السياسية تلك المدة، فالدعوة لرابطة عالم إسلامي وتضامن بين الدول الإسلامية، والانشغال بالقضية الفلسطينية؛ بوصفها أرضاً مقدسة تتعرض للانتهاك والاحتلال، كل هذه تشكل أولويات تُبنى على ضوئها الخطط القولية، ويُرجى من وراء توظيفها النجاعة الحجاجية.

---

(١٥٥) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص ١٦٣، (بتصرف).

المبحث الثالث- الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

يعد بناء واقع جديد، يرتضيه المتلقي، ويحذق المتكلم في انتقاء عناصره -عبر جملة من الوسائل التي تؤسس الخطاب وتوجهه إلى غايات منشئه- منتهى الحجاج الناجع. فالنماذج والتصورات والثقافات وما يمكن أن يؤدي إلى تأسيس واقع جديد بعد الاشتراك؛ تمضي بالحبكة الحجاجية إلى أقصى مراتب الإقناع والتوجيه، ومن ذلك:

- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

إن الواقع الذي يُفترض أن يُبنى على ضوء حالات خاصة يفرِض شروطاً، فالمثل المؤسس لبنية الواقع يفتقد المعطى الذي تقوم عليه أسس الحجاج، فيؤسَس الواقع بواسطة المثل «في الحالات التي لا يوجد فيها عادة مقدمات» [١٥٦] .

وتقتضي المحاجة بالمثل «وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لدعمها وتكريسها... لكن يمكن للمثل أن تبنى عليه قاعدة تكون عامة وتشكل قانوناً» [١٥٧] ، انطلاقاً من حالة خاصة، فيقيم الحجة على العام، انطلاقاً من الخاص. يقول الملك فيصل في معرض حديثه عن المذاهب التي تنخر في جسد وحدة الأمة الإسلامية: «حسبما مر على البشرية في السنوات الأخيرة من تجارب؛ رأينا أن هذه التيارات وهذه الاتجاهات ليست في صالح البشرية لا ديناً ولا دنيا، وأنه -سبحانه وتعالى- قال على لسان نبيه إبراهيم حينما دعا ربه أن يجنب بنيه عبادة الأصنام: عبادة الأصنام ليست في عبادة أصنام معمولة من الحجارة... وإنما كذلك عبادات معنوية. إن البشر يعبدون اتجاهات أو مذاهب أو عقائد، ليس لها في الحقيقة معنى، إنما هي نظريات وشعارات، ترفع لأغراض إما شخصية أو سياسية»[١٥٨]. فإصدار حكم عام، يقضي ببطلان ما ينشأ لأغراض دنيوية؛ مما قد يفكك جسد الأمة الإسلامية، ويهدد العقيدة الصحيحة. فالعام وهو الحكم على المذاهب، يقابل الخاص الذي تضمنته قصة النبي إبراهيم -عليه السلام- حينما دعا ربه أن يجنبه عبادة الأصنام.

وتتضمن الحجج المؤسسة لبنية الواقع بواسطة الحالات الخاصة تقنية الاستشهاد، الذي تتعدد وجوهه واتجاهاته ووظائفه بحسب غاية المرسل وثقافته، فالاستشهاد «يؤتى به

(١٥٦) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٤.

(١٥٧) نفسه، ص ٥٤.

(١٥٨) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣١٧. إن الحديث عن التيارات والمذاهب والاتجاهات مرتبط بما خلّفته الحرب العالمية الثانية من أفكار أيديولوجية سياسية، «فظهرت في مصر القومية العربية، بوصفه إجراء لتحرير الأرض العربية والحفاظ على الهوية العربية، وفي سوريا ظهر حزب البعث بعقيدته الماركسية- اللينينية. ويذهب إلى أن العمل الصحيح للتعامل مع المأزق العربي هو القومية العربية المدعومة بالاشتراكية».
-العصيمي، سياسة الإقناع في الخطابة الإسلامية لدى الملك فيصل، ص١٠٠، (بتصرف).

للتوضيح... قصد تقوية حضور الحجة، وقصد جعل القاعدة المجردة حسية وملموسة» (١٥٩) . يقول الملك فيصل: «أرض المعراج تتعرض اليوم لأعظم الكيد، وأعظم الإهانات وانتهاك الأعراض والحرمات، وإني لأهيب بإخواني المسلمين أن يهبوا لنصرة دينهم، والدفاع عن مقدساتهم؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- قد فرض علينا ذلك، فقال في محكم التنزيل ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾(١٦٠)»(١٦١) فالقاعدة التي يسعى الخطاب إلى تقوية حضورها، وزيادة درجة التصديق بها، هي النهوض للدفاع عن مقدسات المسلمين، والبيّنة عبر الشاهد القرآني جاءت لاحقة للقاعدة، في حين أن المثل جاء -في المثال السابق- سابقاً للقاعدة. فالمثل يؤتى به للبرهنة ولتأسيس قاعدة، والاستشهاد للتوضيح قصد تقوية الحجة.

ومن الحجج المؤسسة لبنية الواقع بواسطة الحالات الخاصة الأنموذج وعكسه، «ومداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب، وإنما يصلح كذلك للحض على عمل ما؛ اقتداء به، ومحاكاة له، ونسجاً على منواله» (١٦٢) ، كقول الملك فيصل: «وقد ورد في الأثر أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف» (١٦٣) .

وقد تكون حجة الأنموذج وعكسه موقع هزء، وذلك إذا ما رصد المتلقي تعارضاً بين الأنموذج ومنتخبه، -فمثلاً- لا يمكن لزعيم دولة علمانية أن يلتمس أنموذجاً من كتاب مقدس؛ لأن المتلقي العارف بدستور الدولة وبأنظمتها لن يقبل، وقد لا يفهم المغزى من توظيف هذا الأنموذج إلا إذا كان عارفاً بمضمون النص المقدس ومقتنعاً به، فنجاعة الحجاج بالأنموذج تنطلق من الاختيار، كما أن نجاعة دحض حجة الأنموذج تكون برصد التعارض.

وبهذا تتضح فاعلية أنواع الحجج في تقطيع النصوص تقطيعاً سيميائيًّا عبر المعيار التداولي؛ ذلك أن أنواع الحجج -في مفهومها الداخلي- تشكل قوالبَ دلالية، تتضمن وحدة معنوية، يمكنها الاستقلال بنفسها عن بقية أجزاء الخطاب، كما يمكنها تحقيق الوظيفة الحجاجية بمعزل عن بنية النص الرئيسة.

أما السطح، فيشير إلى أن الحجاج عبر أنواع الحجج السابقة هو مرحلة تلي مراحل متداخلة، مترابطة؛ ذلك أن أنواع الحجج -في مفهومها الخارجي- ما هي إلا طريقة من طرق العرض، التي

---

(١٥٩) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٥.
(١٦٠) الآية من سورة البقرة رقمها ١٩٤.
(١٦١) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٥٧.
(١٦٢) صولة، في نظرية الحجاج، ص ٥٥.
(١٦٣) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص ٣٩٣.

يعتمدها الباث، متوسلاً بتقنيات منطقية، وأخرى رمزية، يعالجها عبر أدواته الخاصة التي يتمايز بها المتكلمون. ونستطيع من خلالها تصنيف الخطباء، عبر تفكيك الخطاب إلى أسسه ومنطلقاته ثم وسائله وتقنياته، وصولاً إلى نتائجه ومردوداته التي قد تتمثل في رضا المتلقي أو سخطه، وقبوله أو رفضه، وطاعته أو عصيانه.

الفصل الثالث:

آليات الحجاج.

١-الموجهات التقويمية.

٢-الموجهات التكوينية.

الفصل الثالث

آليات الحجاج

يعد الهدف الخطابي [١٦٤] معياراً تصنف من خلاله وتتأسس على ضوئه الاستراتيجية الإقناعية، فالإقناع بوصفه فعلاً تداوليًا مرتبط بأطراف تفاعليه، يرمي إلى هدف متوسل بوسائل واستراتيجيات، تختلف بحسب العلاقة بين أطراف الخطاب، وبحسب الحقل الذي يسعى المرسل فيه إلى تأسيس قاعدة، عبر استراتيجيات تخضع لمعايير واضحة في ذهن المرسل قبل بناء نظامه الحجاجي.

«ولأهمية هدف الخطاب وانعكاسه على استراتيجية الخطاب؛ فقد استنتج طه عبدالرحمن أصلين للتخاطب المبني على قانون علم الكلام. وهذان الأصلان هما: (العاقلية، والمعاقلة)»[١٦٥]. فيرى طه أن التخاطب في أصل العاقلية «يتحدد بقصد معين، وكل سلوك قاصد يعتبر عملاً»[١٦٦] أما التعقل، فلا بد «أن يكون بمقدوره تحقيق الهدف المطلوب» [١٦٧].

من هنا تبرز أهمية الاهتمام بالهدف الخطابي الذي تُسخّر له تقنيات مختلفة، بلاغية -سبق الحديث عنها- ولسانية، تتمثل في تراكيب وأدوات لغوية، بالاشتراك مع الأصول التي نصّ عليها طه عبدالرحمن؛ للوصول إلى أهداف المرسل النفعية، والخروج باللغة من إطار التركيب الجامد إلى فضاء التداول المتحرك.

فالتداولية التي يُبنى على اهتماماتها الهدف الخطابي لا يقتصر اهتمامها «بالإطار النظري لمعالجة قضايا مثل أفعال الكلام أو الحجاج أو قواعد الحوار، ولكنها تقدم صيغة لمقاربة جريئة للمشاكل التي كانت تعتبر تقليديًا في صلب الدلالة، مثل المرجع والسياق والاقتضاءات، إلى حد ذهاب بعض الدارسين... إلى اعتبار اللغات الطبيعية ليست سوى التركيب والتداولية»[١٦٨].

---

(١٦٤) «تم تصنيف أنواع استراتيجيات الخطاب بناء على معايير واضحة، وهي: المعيار الاجتماعي، ويتعلق بالعلاقة بين طرفي الخطاب، وقد تفرع عليه إستراتيجيتان هما: الاستراتيجية التضامنية، والإستراتيجية التوجيهية. معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وتأسس عليه الاستراتيجية التلميحية. معيار هدف الخطاب، وتأسس عليه استراتيجية الإقناع. وبما أن المهم -في هذا السياق- هو معيار الهدف؛ فإن السبيل إلى تحقيقه هو توخي استراتيجية تداولية تشق طبيعتها واسمها من هدف الخطاب، كما تشق نوعها وأدواتها وآلياتها من الحقل التي تمارس فيه». الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص٢١٩، (بتصرف).

(١٦٥) نفسه، ص٢٢٠.

(١٦٦) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٣، ٢٠٠٧م، ص ١٥٤.

(١٦٧) نفسه، ص١٥٥.

(١٦٨) عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٦٤.

«كل هذا يلقي بظلاله على اختيارات المرسل لأدواته اللغوية... فكل سياق يستلزم خيارات معينة دون غيرها؛ مما يجعل الحجاج في شكله النهائي ترجيحاً من بين خيارات، بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانات لغوية إلى أخرى، يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين» [١٦٩] .

فسياسة النص التي يقترحها المتكلم، ترتبط بأفق تأويلي تداولي، تقوم فيها البنية النصية الداخلية بتفسير حدث الكلام، بعد أن تتحدد صفة المتكلم في كلامه، فالمتكلم -كما يراه أمبيرتو إيكو- فرضية خطابية، أي: أنه يشكل أحد أجزاء خطابه ومراحله المترابطة [١٧٠] .

انطلاقاً من العنصر الثاني من عناصر الخطابة الثلاثة التي وضعها (أرسطو)، يتأسس النظر في السرد الحجاجي، الذي يتضمن دراسة البناء اللغوي للخطاب، إنما سيكون ذلك بصيغة مستحدثة، تخضع للنزعات الحديثة، التي تدرس نظام اللسان، آخذة السياق بعين الاعتبار؛ فتكوّن حقلاً شاسعاً، يشغل الحجاج باللغة أحد أجزائه، وتسمى في السياق التداولي التداولية المدمجة في اللسان، أو اللسانيات التداولية.

إن نظرية الحجاج باللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن اللغة تحمل بصفة أساسية ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية. فالحجاج هو إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضاً وأساساً بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها. فالحجة -بحسب هذه النظرية- عنصر دلالي، يخضع لاستخدام خاص، يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر [١٧١] .

فالحجاج اللغوي عملية تركيبية مدمجة، تنطلق من اللسان وتنتهي إلى التداولية، يتسم بكفاية تميزه عن غيره من الحقول النظرية؛ الأمر الذي جعل الفصل بين الدلالة والتداولية مرفوضاً، واللجوء لدمج الدلالة في التداولية عوضاً عن ذلك، فمعنى القول لا يمكن وصفه بتاتاً في استقلال عن المقام والوظيفة القولية، فالتداول أو المقام مؤشر له في كل أجزاء المعنى [١٧٢] .

فموضوع التداولية في الحجاج اللغوي هو «بيان الدلالة التداولية، لا الخبرية الوصفية المسجلة في أبنية اللغة» [١٧٣] ، فالمعطيات اللغوية وما ينطوي تحتها من دلالات «لا يمكن وصفها

---

(١٦٩) الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص٢٣٨.

(١٧٠) انظر: محمد بن العربي الجلاصي، المتكلم والكلام، في تأويل الإقامة العرفانية في العالم، مرايا الحداثة، تونس، ط١، ٢٠٠٩م، ص٩.

(١٧١) انظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٤، ١٦، ١٧، ١٨.

(١٧٢) انظر: المرجع نفسه، ص٤٠.

(١٧٣) صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص٣٥١.

دون استحضار مقصديات معينة لعملية التلفظ» (١٧٤) . فقيمة العملية التلفظية «لم تعد نابعة فقط مما يتضمنه هذا القول من عناصر إخبارية، بل بقيمته الحجاجية كذلك، وفي هذا يقول (دوكرو): إن الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ، التي بالإضافة إلى محتواها الإخباري تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك» (١٧٥).

إن الحجاج اللغوي يقع أين ما وقعت اللغة، فهو موجود في «بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية» (١٧٦) ؛ وبهذا يكون الحجاج كامناً في بنية الخطاب، التي يتأسس على ضوئها المفهوم التقني الحجاجي، الذي يقابل الحجاج بمفهومه العام.

إن المفهوم التقني الحجاجي -كما سماه كل من (ريبول) و (موشلار)، وكما ورد عند (برلمان) و (تيتيكا)- هو المفهوم التوجيهي العاملي الذي أقرّه كلٌّ من (دوكرو) و (أنسكومبر) في مصنف الحجاج في اللغة، الذي تضمّن وصفاً لنظرية تسعى فيها اللغة الطبيعية بالاتحاد مع المنطق الطبيعي (١٧٧) ، إلى تأسيس نسق من العمليات النحوية والذهنية، التي بدورها تُفضي إلى

---

(١٧٤) Oswaid Ducrot: Les echelles argumentatives p٨. نقلًا عن: الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٦م، ص ٩٨، (بتصرف).

(١٧٥) Oswald ducrot: Les echelles argumentatives p١٨. نقلًا عن: السابق، ص٩٨.

(١٧٦) العزاوي، اللغة والحجاج، ص٧.

(١٧٧) ظل المنطق الصوري -في نظر بعض المناطقة واللسانيين- منطقاً قاصراً محدوداً، لا يتماشى مع متطلبات اللغة الطبيعية وإمكاناتها المختلفة، فاللغة الطبيعية لها خصائصها التي تميزها عن اللغة الصناعية، فهي «ملتبسة، استعارية مجازية، تتسم بالتناقض والتعارض والإضمار والاشتراك والتعدد الدلالي، والغموض بمختلف أنواعه... أما اللغة الصناعية فتقوم على مبادئ، تتعلق بالوضوح والدقة وأحادية الدلالة، فهي لغة موضوعة لتلبية الحاجات والضرورات العلمية».

-العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، ص ١٧ ، ١٨. وتبعاً لذلك، ظهرت عدة محاولات ترمي إلى إنشاء نماذج منطقية، تُعنى باللغة الطبيعية وتُلائِمها؛ فظهر مصطلح المنطق الطبيعي، عبر عدد من النماذج التي وضعها مناطقة ولسانيون، منها:

«نموذج (جورج لايكوف): ويتمثل هذا العمل في محاولة وصف الصورة المنطقية للجمل في كل لغة معينة؛ فيكون الهدف هو التعبير عن كل المفاهيم القابلة لأن يعبر عنها في اللغة الطبيعية، وتخصيص كل الاستدلالات الصحيحة التي يمكن أن تنجز داخل اللغة الطبيعية، بشكل يتلاءم مع وصف لساني كاف لكل اللغات الطبيعية.

- نموذج (جون لورنزن): ويتمثل نموذجه في بناء البنيات المنطقية وتأسيسها انطلاقاً من قواعد الجدل الحجاجي.
- نموذج (جان بليزغريز): والمنطق الطبيعي عنده نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلاً يوجد في سياق ما، من اقتراح تمثيلاته على مستمع ما، بواسطة الخطاب.
- نموذج (جان بياجي): ويرى أن كل أشكال الفكر طبيعية، بما في ذلك النماذج والأنساق الصورية المنطقية».

-أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، ص١٤، ١٥، ١٦. (بتصرف)، وانظر للاستزادة: جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، ص٩ وما بعدها.

تأسيس واقع دلالي إضافي، مدمج في البنية التركيبية للخطاب.

فالخطاب الحجاجي -من وجهة نظر لسانية- يتحدد عبر سمات لغوية معينة، تصف قيمته التداولية بمعزل عن كل صناعة، فلسفية كانت أم منطقية. وبهذا قد يتموقع الحجاج اللغوي من الخطاب موقع النية من المتكلم، فقد يكون ظاهراً على سطح القول، وقد يكون مضمراً داخل أنسجة الخطاب، التي أصبحت فيه تلك العوامل والروابط الحجاجية أجزاء منسجمة، تنطلق من خطاب أدمجت فيه، بانية عبر عناصر تداولية خطاباً آخر، تؤسسه وتستدعيه.

وبهذا يحدد منطق اللغة التداولي تسلسل الخطاب وتناميه ووجهته وهدفه، كما أنه يؤطر القيمة الدلالية التي تتعدد بفعل ارتباطها باللغة الطبيعية، ضمن مدار تداولي؛ لتعود وتنتشر وتتعدد من خلاله.

وبناءً على هذا تكون معرفة أسباب اختيار ملفوظ ما لصالح قصد ما ضرورة تداولية؛ ذلك أنها تضع كل أداة في مكانها، وترتب التقنيات وفق الخطاطة التي رسمها المتكلم، في علاقة داخلية، لغوية وذهنية، قائمة بين المتكلم والمتلقي.

وعليه، فإن الحجاج الذي أراده (دوكرو) هو «سمة جوهرية لعدد كبير من الأقوال التي لا نستطيع استخدامها دون أن ننوي توجيه المخاطب نحو نمط معين من النتائج (بسبب إقصاء نمط آخر من النتائج) يجب إذاً أن نحدد عندما نصف قولاً من هذه الفئة، نوع الوجهة التي يتضمنها، أو نحدد أيضاً... لصالح أي شيء يصح أن يكون حجة» (١٧٨). فنظرية الحجاج اللغوي «لا تربط بين المحتوى الإخباري للأقوال والبنية الحجاجية التي تنتظمها؛ لأن التوجه الداخلي نحو نتائج معينة ليس مرتهناً بكمية الأخبار التي ينقلها المتكلم عبر تلك الأقوال إلى المخاطب، وإنما يتأسس ذلك التوجه الداخلي بناء على ما يرغب فيه المتكلم نفسه من تأثير وتعديل وتوجيه لأفكار وعواطف وانفعالات المتلقي» (١٧٩).

هذا التوجيه يندرج ضمن الوصف الدلالي الذي تتبناه النظرية، والذي يتعلق بشكل أساس على الملاحظة والتأويل، التي تتعدد بتعدد أنماط اللغة وأشكال الخطاب، «فالوصف الدلالي...

- نموذج (أزفالد ديكرو): يرى بعضهم أن نظرية الحجاج في اللغة يمكن أن تعد نموذجاً للمنطق الطبيعي؛ ذلك أن تسلسل الخطاب وتناميه وتركيبه ومحمولاته يندرج ضمن المنطق الطبيعي الذي يُبنى على ضوئه منطق اللغة، أو منطق الخطاب الطبيعي.

= فإذا كان المنطق الطبيعي منطقاً لغويًا، يستعمل اللغة الطبيعية بكل عناصرها، فإن المنطق الصوري يقع على الجهة المقابلة تماماً، فهو منطق رياضي، ينطلق من قوانين وفرضيات وعمليات متداخلة، تشترك فيها اللغة الصناعية، التي تعد الهيكل الخارجي للعناصر المنطقية الصناعية الداخلية.

(١٧٨) Jean claude anscombre et Oswald Ducrot, Les argumentation p30 نقلًا عن: السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص٥١، ٥٢.

(١٧٩) السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص٥٤.

يستدعي بشكل واسع مفهومي المعنى الظاهر، والمعنى المقتضى» [١٨٠] وهذه الأشكال الخطابية المتناظرة، تُفضي إلى ثنائية من الفرضيات، خارجية وداخلية، تكون وظيفة الأولى «توفير... المعطيات القابلة للملاحظة، بينما تعمل الفرضيات الداخلية على تصور وحدات لغوية مجردة، والبحث في تلاؤمها مع المعطيات القابلة للملاحظة، وبناء جهاز صوري لحساب الصلات المتناظرة بين المجموعتين» [١٨١] ومن ثَمَّ تحديد آليات الاتجاه الحجاجي الذي يتضمن فعل التوجيه كما رسمه المتكلم.

فالولوج داخل البنية المنطقية للملفوظ، يمكّن من رصد قوانين وخطاطات تعنى بتنظيم الوحدات الدلالية في علاقتها التواضعية باللغة، فدلالة الملفوظ الحجاجية غير قابلة للملاحظة إذا ما خضع الملفوظ لعمليات مركبة ومعقدة، تتم عبر تسلسل الوحدات المعجمية، في تنسيق نحوي، منطقي. فتأسيس البنى الدلالية، ورسم الأبعاد المعنوية للملفوظات، ينطلق من خلفيات معرفية مشتركة، ترتكز على قواعد أخرى منطقية.

ومجمل القول أن الحجة تُبنى عبر عنصر دلالي، لصالح آخر يؤدي إلى نتيجة، وتحديد القيمة التداولية لهذين العنصرين تتم عبر متطلبات المقام التي تنطلق منها العملية الحجاجية؛ وعليه تكون العلاقة الحجاجية حاملاً للقيم التداولية، كما أنها تمثل خطاطة التعالق بين العناصر الدلالية السابقة.

«فالعلاقة الحجاجية علاقة صورية بين محتويات الأقوال لا الأقوال نفسها، وهي علاقة تدخل تحت ما يسمى الفرضية الداخلية، التي تعد آليات تأويلية مسلم بها، تمكّن من تحديد التأويل الممكن والتأويل غير الممكن، كما تسمح بتقديم وصف آخر للأقوال المدروسة؛ فتكون العلاقة الحجاجية عنصراً محوريًا في وصف دلالي مغاير للأقوال المدروسة أولاً، وفي تحديد التأويل الممكن لمحتوياتها الحجاجية ثانياً، وفي معرفة نوع الاتجاه الحجاجي المسموح به ثالثاً» [١٨٢].

كما أن القيمة الحجاجية لملفوظ ما، يمكن تحديدها عبر الاستناد إلى الاتجاه الحجاجي، الذي يمكن استنتاجه من لفظ أو معطى تداولي أو عامل أو رابط، كما قد يكون ظاهراً أو مضمراً، «فتأسيس التأويلات المقدمة للأقوال يتم بناء على غياب أو حضور الوجهة الحجاجية المحددة» [١٨٣].

---

(١٨٠) Jean claude anscombre et Oswald Ducrot, Les argumentation p٤٧ نقلًا عن: السابق، ص٥٤. بنى (دوكرو) شبكة المفهوم على ثلاثية المنطوق والمقتضى والنتيجة، فالمفهوم الحجاجي الذي يريده هو «ما يمكننا من قول شيء دون أن نقوله، أو كنا قد قلناه».

-عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج، مركز النشر الجامعي، تونس، ط١، ٢٠١٥م، ص٦٦.

(١٨١) Jean claude anscombre et Oswald Ducrot, Les argumentation p79-80 نقلًا عن: السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص٥٦.

(١٨٢) السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص٧٢، ٧٣، (بتصرف).

(١٨٣) O.DUCROT, les echelles argumentatives, p44 نقلًا عن: السابق، ص٧٢.

وقد استدرك (دوكرو) وضمّن نظريته اللغوية عنصراً بلاغيًّا يسمى (موضع)، يدعم الاستدلال ويقوّي النظرية، ومعلوم «أن أحدث النظريات اللسانية تجعل كل كلمة في المعجم يثوي تحتها موضع» [١٨٤]، فالمواضع هنا مبادئ عامة، تصلح لتقوية الاستدلال وما هي بالاستدلالات، فهي تظهر كأنها ذات قوة قانونية، تشد من أزر العامل وتقوي سلطانه على الملفوظ [١٨٥].

ومع هذا، يظل المكون الحجاجي عند (دوكرو) كامناً في اللغة، «فقد حصر من خلال تداوليته المدمجة درس الحجاج في نطاق اللغة، وجعله مؤسساً على بنية الأقوال ذاتها، لا في البحث عما هو واقع خارجها» [١٨٦].

المبحث الأول- الموجهات التقويمية:

إن التصور التداولي للحجاج اللساني يقوم على مفهوم شكلي، تتجسد على ضوئه العلاقات التي تربط أجزاء الخطاب، والتي يكشف عنها المتلقي بالاستناد إلى عناصر ومفاهيم أخرى، تساعد في تحقيق الوظيفة اللغوية، وإتمام العملية الحجاجية، التي تعتبِر العوامل الحجاجية أداة توجيهية وتنظيمية تصب في تداولية العملية التواصلية [١٨٧].

ويتضمن هذا الوصف ما يتعلق بحجاجية السمة، انطلاقاً من خصائصها التوجيهية والتكوينية[١٨٨]. فالوحدات اللغوية المنتقاة بعناية -كتلك التي تتضمنها الخطب السياسية-

(١٨٤) الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص٩١. و «العامل الحجاجي قادح للمفاهيم المختلفة نيابة عن المقام في الملفوظ، ولكن تعدد المفاهيم التي يقدحها العامل تجعله مدعاة لفوضى الدلالة؛ لهذا اعترف (أنسكومبر) بقصور نظرية العامل؛ فركن مع (دوكرو) إلى المواضع؛ لتقوية النظرية».
-نفسه، ص٧٧، (بتصرف).

(١٨٥) انظر: الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص٨٧.

(١٨٦) الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص٩٨، ٩٩، (بتصرف).

(١٨٧) تميز بعض الدراسات التداولية بين العوامل الحجاجية، والروابط الحجاجية؛ بصفة أن الأولى تدخل على القضية الواحدة، بينما تدخل الثانية على أكثر من قضية. كما يدمج بعض أصحاب الدراسات المتعلقة بالعوامل الحجاجية بين هذين الصنفين، على اعتبار أنها تضفي على الملفوظ صيغاً أخرى، تتضمن البعد الحجاجي المنشود. فهي عندهم عناصر مساعدة، وأدوات؛ ذلك أنها تضمن البعد التأثيري للخطاب الحجاجي، وهي كذلك علامة وآلة.
-انظر: الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص١٧، ٢١، ٢٢. وبما أن الحجاج اللغوي هو استخدام عنصر دلالي لصالح آخر، أي: أن تلك العناصر أدوات تربط بين الحجة والنتيجة؛ فإن العامل الحجاجي هو كل ملفوظ يؤدي وظيفة حجاجية؛ وعليه أذهب إلى ما ذهب إليه الفريق الثاني من دمج للمفهومين، والاهتمام بالأبعاد الوظيفية، التي تتلخص في الوظيفة الحجاجية للملفوظ؛ وبناء على هذا، تدخل الروابط والصرافم، وبعض الصيغ الجاهزة والتراكيب تحت مظلة العامليّة الحجاجية.

(١٨٨) « ميز (دوكرو) في عملية التلفظ بين المحتوى والموجه، فالمحتوى لا علاقة له بالتوجيه، أما الموجه فهو الذي يمثل الموقف الذي يتخذه المتكلم بخصوص محتوى القول».
-الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص٢٠٦، (بتصرف).

هي أشكال لسانية، تتضمن قيمة توجيهية حجاجية، لا ينبغي التعامل معها باعتبارها شكلاً زائداً؛ إنما هي جزء لا يخلو من طاقة قصدية، إقناعية.

وقد قُسِّم التوجيه في حقل اللسانيات إلى أقسام متعددة، منها ما يتعلق بموجهات الإثبات، التي تتضمن جملة من العوامل التوجيهية الحجاجية، «فيضمنها المتكلم خطابه؛ بغية إثبات معانيه وتوكيدها وتقريرها في نفس المخاطب» (١٨٩)؛ فيتحقق حضور الذات والإقناع في آن، من خلال مجموعة من العناصر، تقوم بتوجيه الكلام بحسب مقاصد المتكلم؛ لتحمل المخاطب على ترك التردد والشك والإنكار، ومنها: (القصر وأفعال اليقين).

القصر:

يعد أسلوب القصر من الأساليب التي تخترق التركيب الداخلي للجملة؛ لتوجهه نحو نتيجة محددة، فهي تحمل وصفاً وقيمة دلالية وتداولية، تحدد الاتجاه وتؤطره. وأسلوب القصر هو «تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان، أو تخصيص الوصف بموصوف دون آخر» (١٩٠). ومن أدواته: (إنما- لا... إلا).

- **عاملية (إنّما، لا... إلا):**

تعد (إنما) أم طرق القصر «وقد عدها القدماء متمحضة للقصر وحكراً عليه» (١٩١)، وهي كما وردت عند (دوكرو)، توجه «الملفوظ نحو نتيجة محددة ضيقة» (١٩٢).

وتعد أدوات القصر والاستثناء «ذات عاملية حجاجية قوية؛ فبها يقع قصر المفهوم وحصره، وتوجيه المتقبل إليه دون عناء. وهذا من شأنه أن ييسر على المتقبل اتباع المسار التأويلي للحجة؛ للوصول للنتيجة؛ فيذعن لها دون مشقة» (١٩٣).

والمتتبع لخطب الملك فيصل السياسية يجد أنه وظّف أدوات القصر في أكثر من موضع، فكثيراً ما كان يقف الملك خطيباً لجمهور مستعد لتلقي مضمون الخطاب، فهو يتفق والمخاطب على المضامين والركائز والأهداف، لاسيما فيما يتعلق برابطة العالم الإسلامي؛ فتكون الوظيفة الرئيسة لتلك العوامل وظيفة التوجيه.

في مؤتمر للتضامن الإسلامي يقول: «إن البشر يعبدون اتجاهات أو مذاهب أو عقائد ليس لها في الحقيقة معنى، وليس لها أي أساس ترتكز عليه، وإنما هي نظريات وشعارات ترفع لأغراض إما شخصية، أو أغراض سياسية، أو أغراض مصلحية يراد بها لفت الأنظار، وتجميع الأنصار حول

---

(١٨٩) الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية، ص٢١١.

(١٩٠) السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٤٠٠، (بتصرف).

(١٩١) الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص٥٤، (بتصرف).

(١٩٢) نفسه، الصفحة نفسها.

(١٩٣) الناجح، تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص٤١، ٤٢.

شعارات لا تستند إلى حقيقة ولا إلى أساس، حينما نقلبها ونسبر أغوارها لا نجد لها أي أساس ترتكز إليه، وإنما هي كلها أشياء من الكذب؛ لكسب الأنصار» [١٩٤] . تضمّن الخطاب توظيف العامل (إنما) مرتين، مرة للتدقيق، ومرة للدحض. فالتوجيه عبر العامل الأول يقتضي الإخبار، وبما أن الخطاب قد تضمن عرضاً لحقيقة المذاهب، وكشفاً عن قاعدتها المزيفة؛ فإن الاحتمالات التي تتبادر إلى ذهن المخاطب قبل دخول العامل تتعدد، فقد تكون:

ح١: مذاهب وضعها أعداء الأمة العربية والإسلامية.

ح٢: تعدد المذاهب الوضعية بوجود عقيدة سماوية؛ يمزق وحدة الأمة.

ح٣: تقديم مصلحة المجموعة على مصلحة الفرد.

فالهدف النفعي من الحجاج واحد، وهو الكشف عن حقيقة تلك التوجهات، إلا أن الحجج قد تتعدد، وتبعاً لذلك تتعدد الرؤى، وعليه فإن السياق والمقام هما اللذان يوجهان الحجاج لجهة دون أخرى. فالعامل الحجاجي الذي يدقق الملفوظ ويحدده، ينقل الدلالة عبر المقام من طور الإخبار إلى فعل التوجيه، وبه تصبح تلك المذاهب وضعية، خُلقت لأغراض قد تكون شخصية أو سياسية.

فالدعوة إلى تضامن إسلامي، تتطلب كشفاً لما قد يمزق وحدة الأمة الإسلامية، وإن كان ما يمس العقيدة هو أخطر ما يهدد تلك الوحدة؛ فقد عرض الخطاب تفاصيل تلك التيارات والمذاهب، كاشفاً أسسها، مفككاً أجزاءها، عارضاً لأهدافها، ثم داحضاً لها ولما بنيت عليه، عبر توظيف آخر للعامل (إنما)، يدحض به صدق تلك الأفكار عبر تدقيق الدلالة في محتوى خبري، توجيهي، حجاجي.

كما أن الربط بين الحجة والنتيجة الذي تتبناه العلاقة الحجاجية، يتم بالانتقال من الأولى إلى الثانية، عبر التأويل الذي توفره العلاقة الحجاجية، في وصف للمدلول الضمني والاتجاه الحجاجي في آن. وعبر هذه العناصر المتداخلة، يتم بناء استلزام تخاطبي -ضمن أحد عناصر شبكة المفهوم التي وضعها دوكرو- فتكون النتيجة الحجاجية: (لا تتبعوها).

والمفهوم التخاطبي عند (دوكرو) يتميز بتعدده؛ وذلك لارتباطه بالمقامات التي ينشأ عنها، كما يميز بينه وبين المقتضى، ويلح على ضرورة الوعي بما بينهما من فروق. فالمقتضى ذو طبيعة لسانية محضة، في حين أن المفهوم يتداخل فيه العنصر المقالي بالمقامي لإظهاره، بل إن العنصر الحاسم في تحديده هو المقام، الذي ليس له سلطان على المقتضى الذي تولده البنية اللغوية [١٩٥] .

وعليه، فإن المفهوم يتمتع بكفاءة تواصلية داخل البنية اللغوية، تقلل من نسب حصول الانحراف التأويلي، في حين أن المقتضى «مزود بملاءمة تواصلية أقل شأناً من تلك التي تتمتع بها

(١٩٤) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣١٧.

(١٩٥) انظر: الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص٦٧، ٦٨.

المعلومات البينة، كما أنه يحتل مركزاً أدنى مرتبة داخل البنية الرقائقية التي يتألف منها محتوى الأقوال الإجمالي» (١٩٦) .

فالمقتضى في قوله: «إنكم -أيها الإخوة- مدعوون لترفعوا علم الجهاد في سبيل الله، وليس الجهاد هو فقط حمل البندقية أو تجريد السيف، وإنما الجهاد هو الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله، والتمسك بها... مهما اعترضتنا المشكلات أو المصاعب» (١٩٧) هو أن الجهاد قد يكون بالسلاح وقد يكون بالكلمة، وأن الدعوة إلى الله هي من أحد طرق الجهاد في سبيل الله، إذا ما تجاوزنا التركيب اللغوي إلى الوصف اللساني المرتبط بالمقام، الذي يخضع فيه الاستلزام الخطابي -الحامل للقيم التداولية عبر العلاقة الحجاجية- للمكون البلاغي، الذي يتدخل فيه المتلقي عبر استنتاجاته الاستدلالية في الوصول إلى نتيجة، انطلاقاً من العامل اللغوي؛ فيكون الاستلزام الخطابي (ينبغي أن ننطلق في جهادنا من الدعوة إلى الله والتمسك بتعاليم الدين)؛ فالتوصل إلى النتيجة على هذا النحو، جاءت بعد التوسل بمقتضيات القول المقامية -التي تتمثل في الدعوة إلى تضامن إسلامي بين الدول الإسلامية- وتدقيق المعنى عبر عامل القصر (إنما).

إن صناعة الدلالة من المضمر في الخطاب السياسي إجراء جائز، إذا ما تم استقراء الخطاب مدمجاً في العناصر التي ساهمت في تشكيله، فنضع الخطاب في صيغته المباشرة تحت آليات تُديرها الكفاءة الألسنية اللغوية التي تتمتع بها نخبة المتلقين، انطلاقاً من الخارج نحو الداخل ثم العكس، في علاقة ارتدادية بين الهيكل والمحتوى. فصناعة الدلالة من المضمر تتطلب تتبعاً رمزيًّا وتداوليًّا؛ لكشف القضايا والدلالات المضمرة؛ ذلك أنها تنشأ بالتضافر مع العناصر التواصلية عبر عملية تأويلية، تُسخّر لها أدوات منطقية وفلسفية ولسانية.

وتعمل أدوات الاستثناء عمل (إنما)، فهي مرادفة لها -كما يرى السكاكي- كما أنها آلية من آليات الحجاج بالقصر، «فهي ضرب من ضروب التوكيد... ما جعلها الأكثر قدرة على تأكيد حضور الذات المتكلمة في كلامها» (١٩٨) .

فموقف الملك فيصل من الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية يظهر عبر الوصف الذي تضمنه الخطاب في قوله: «شعب اعتدي عليه في وطنه، وشرد من بيوته، ونفي في أقطار الأرض يتكفف حسنات المحسنين، لا لشيء، إلا لأن هناك زمرة من شذاذ الأرض أرادوا أن يتخذوا لهم مركزاً؛ فاختاروا فلسطين» (١٩٩) . كما أن دخول أداة القصر حددت القيمة الدلالية والقصدية للخطاب، بعد أن حصرت الدلالة وقلصت إمكانات الخطاب الحجاجية؛ لتدعيم وجهة معينة، تخدم النتيجة. فالمدلول الحجاجي للخطاب قبل تدقيق الملفوظ قد يتضمن عدة احتمالات، منها،

(١٩٦) أوركيوني، المضمر، ص٤٥.

(١٩٧) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٠٥.

(١٩٨) الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص٢٢١.

(١٩٩) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٠٤.

أن ما يحدث في الأرض الفلسطينية بسبب:

ح١: حرب أهلية.

ح٢: حرب عالمية.

ح٣: صراع على أملاك مشتركة.

إلا أن الربط بين أجزاء أسلوب القصر يحمِل الدلالة، فالشعب الفلسطيني لم يُعتد عليه بسبب مستحقات سابقة، أو اتفاقيات ملغاة، أو حق يريد المعتدي استرجاعه، بل كانت الأهداف أبعد من ذلك؛ فالكيان الصهيوني مستعمرة في طور النمو، إن لم يتخذ التوجيه الحجاجي مداه في (انصروا الفلسطينيين).

«إن المتكلم إذ يوجه ملفوظه توجيهاً حجاجيًّا، فإنه يفعل ذلك عبر وسم هذا الملفوظ وسماً حجاجيًّا، ويجري هذا الوسم الحجاجي بتضمين الملفوظ مجموعة من العلاقات والإشارات التي تحدد كيف ينبغي تأويله، وأي معنى يجب إسناده إليه» [٢٠٠].

فالعوامل الحجاجية -من وجهة نظر المتلقي- في علاقتها بالتراكيب اللغوية، ما هي إلا أداة لتحليل المضمون، وعبر توظيف المتكلم لهذه الأدوات، يأتي انتخاب احتمال واحد بين عدة احتمالات تولدها اللغة.

وبناء على ما سبق، تتمثل عاملية أدوات القصر في تحديد الملفوظ عبر تضييق الدلالة، وحصر المدلول في وجهة دون أخرى، ذلك أن الاستلزام الخطابي الذي يتضمن النتيجة الحجاجية عبر العوامل هو رهن المقام؛ وبناء على كل هذه العمليات، يتشكل التوجيه الحجاجي، الذي يرادف في وجه من وجوهه لفظ الإقناع.

أفعال اليقين:

وهي «ما يفيد في الخبر يقيناً، والمراد باليقين: الاعتقاد الجازم» [٢٠١]. منها ما يستعمل لليقين فقط، نحو (علم)، بمعنى عَرَفَ، ومنها ما يستعمل للاعتقاد الجازم، نحو (رأى)، ومنها ما يستعمل لإصابة شيء على صفة، نحو (وجد) [٢٠٢].

«إن المتكلم، إذ يوظف أفعال اليقين، فهو إنما يفعل ذلك لإبراز مدى يقينه وتأكده من كلامه، وإبراز حضور ذاته فيه، فضلاً عن دعوة المخاطب بدوره إلى تصديق هذا الكلام. فهذه

(٢٠٠) رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، ص٢٣٤، نقلًا عن: الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص٢١٢.

(٢٠١) عبدالله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، ج١، المسلم، الرياض، ط٢٠٠٤م، ص٢٨٦.

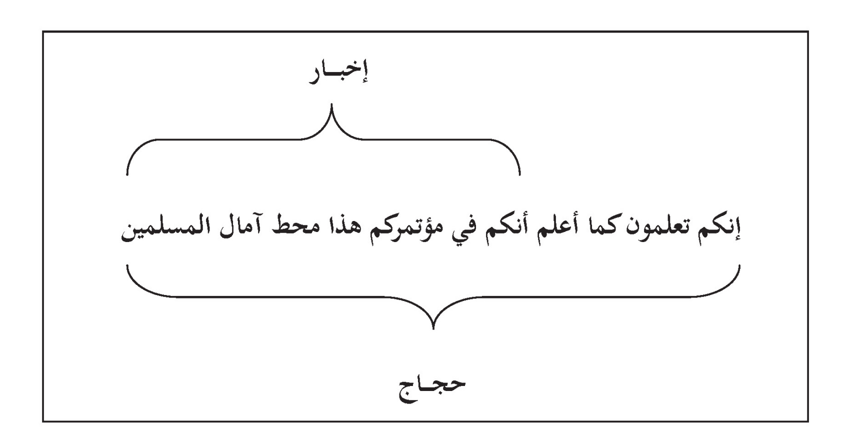
(٢٠٢) انظر: السابق، ص ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠. الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، جامعة تونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٤٩.

الأفعال إذ ترد في الخطاب، فهي توجهه توجيه إثبات؛ بفضل ما تحققه فيه من يقين واعتقاد جازم بمحتواه» [٢٠٣]. وذلك ما سنأتي عليه، عبر عرض لحجاجية الموجه اليقيني (علم، رأى، وجد).

في خطاب ألقاه الملك فيصل في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي يقول: «إنكم تعلمون كما أعلم وأكثر أنكم -أيها الإخوة- في مؤتمركم هذا محط آمال ورجاء المسلمين» [٢٠٤].

يتجلى التوجيه اليقيني عبر العامل الحجاجي (علم)، مستمداً طاقته الإقناعية من استعمالات أفعال اليقين، فالعلم هو «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع... وقيل العلم هو إدراك الشيء على ما هو به» [٢٠٥]، وعليه فإن اليقين الحجاجي عبر الموجه (علم) شكل من أشكال الإثبات، عبر حضور الذات في خطابها، وتضمين موقف المتكلم تأكيداً وتأييـداً، إلى حد يجعل حجاجية الخطاب دونها عرضة للانهيار، والمحتوى قابل للشك والإنكار والدحض. فتجريد الخطاب من موجهات اليقين يسلبه شحنته الحجاجية، كما أنه يغير مسار غائية اللغة من الإقناع إلى الإخبار؛ فيكون الخطاب: (إنكم في مؤتمركم هذا محط آمال ورجاء المسلمين).

فالخبر يحتمل الصدق والكذب، الأمر الذي جعل تغيير مسار الخطاب من إخبار إلى إقناع وظيفة تضطلع بها أفعال اليقين، عبر تقوية اليقين بما يعتقده المتلقي ويرتضيه ويتوقعه، كما أن المعادلة اللغوية التبادلية -التي بفعل العلاقات القائمة بينها وبين مضاعفات اللغة تتغير الوظائف اللغوية- تسير في أوضح صورها على هذا النحو:



وينطبق ما جاء في المثال السابق على ما قاله الملك فيصل في مقام مشابه، حينما تحدث عن المعارضة الغربية لكل ما يمكن أن يحقق وحدة إسلامية: «وإننا نعلم أننا جميعاً في سبيل كفاحنا

(٢٠٣) الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص٢٢٥، (بتصرف).
(٢٠٤) مجموع خطب وكلمات الملك فيصل بن عبدالعزيز، ص٨٣.
(٢٠٥) الجرجاني، التعريفات، ت: محمد المنشاوي، دار الفضيلة، د.ت، ص١٣٠.

الإسلامي، تتعرض لضغوط شديدة من المستعمرين، وأعوانهم من صهيونيين وخلافهم»[٢٠٦].

ومن أفعال اليقين ما يستعمل «للاعتقاد الجازم في شيء أنه على صفة معينة، سواء كان مطابقاً أو لا»[٢٠٧]، نحو (رأى) في قوله: «حسبما مر على البشرية في السنوات الأخيرة من تجارب، رأينا أن هذه التيارات وهذه الاتجاهات ليست في صالح البشرية»[٢٠٨]، فدخول الموجه اليقيني (رأى) على الوقائع التاريخية في الخطاب أعطتها الصبغة التوجيهية، التي تتعدى فعل التضمين والسرد والعرض، إلى التوجيه والحض بعد الإقناع.

كما أن الاعتقاد الجازم عبر (رأى) يضع المتكلم في مكان اختاره لنفسه من تلك الوقائع؛ فيحدد من خلالها موقفه من الواقعة ومن الخطاب، عبر اعتقاد يقيني جازم، بصيغة مثبتة، تتجاوز الخبر إلى الحجاج.

ومن أفعال اليقين ما يستعمل «لإصابة الشيء على صفة»[٢٠٩]، نحو (وجد) في قوله: «ولكننا -مع الأسف- في هذا اليوم نتعرض في أوطاننا ومقدساتنا لكل امتهان وكل استفزاز، ولسوء الحظ أننا نجد في العالم من لا ينظر إلى هذا الأمر بجدية، أو من يسعى لتبرير بعض الأعمال التي يقوم بها أعداء الإسلام وأعداء البشرية، وأن يجدوا لها بعض المبررات»[٢١٠].

إن حضور الذات عبر توظيف الموجهات يعود إلى استغلال المتكلم للطاقات التوجيهية والإقناعية الناتجة عن تلك الأفعال، ومن ثمّ حضور المتكلم من خلال المواضع التي يشغلها في الوسط الخطابي بكامل عناصره.

---

(٢٠٦) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣١١.

(٢٠٧) الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ص١٥٠.

(٢٠٨) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣١٦.

(٢٠٩) الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ص١٥١.

(٢١٠) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ٣٨٨.

المبحث الثاني- الموجهات التكوينية (الصيغة):

إن لعلماء الخطاب في المكونات الكلامية رأياً، «فقد أجمعوا على أن لكل حدث لغوي أثراً وعملاً. ولما كانت نسبة الخطاب الحجاجي إلى الأحداث اللغوية جارية حاصلة، فإن له آثاراً وفي داخله أعمالاً تنجم عن التفاعل بين المحاج والمحجوج؛ باعتبارهما طرفين رئيسيين في دورة الخطاب القائمة على ضرب من التداولية، التي ينجر عنها التواطؤ، وينبثق منها التوافق بين المرسل والمرسل إليه، وهو ما ينتج عنه رسوخ المضمون الخطابي في كيانات الجمهور»(٢١١).

فالحجاج عبر الصيغ التوجيهية، التكوينية، ينطلق من أسس البناء الداخلي للخطاب، الذي تتضح ملامحه الدلالية بعد الكشف عن الخطاطة التركيبية اللغوية، التي تستند بشكل أساس على التأويل، والربط بين معاجم الخطاب.

في الوقت نفسه، تنظِّم تلك الخطاطة اللغوية حركة الكلمة الحجاجية، عن طريق الانتخاب المعجمي، الذي يساعد الكلمة على الظفر بمكان يوفره لها المقام ووضعية المتكلم أكثر من غيرها (٢١٢)، فوجود «بعض الكلمات في الجمل يعطيها بشكل جوهري توجيهاً حجاجيًّا؛ لخدمة نتائج محددة، دون أخرى» (٢١٣)، فالوحدات المعجمية قابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي معاني إضافية، من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه، وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام؛ بفضل مالها من قيم دلالية مختلفة، بعضها مستمد من اللغة نفسها، وبعضها متأت من الاستعمال والتداول، فهي تحمل خصائص تستمدها من اللغة ومن التداول؛ تجعلها مؤهلة لتكون ذات صبغة حجاجية (٢١٤).

وهذا يعني أن حضور المعنى الحجاجي في الخطاب «يتطلب استرجاعاً لسانيًّا، ينطلق من علاقات الوحدات اللسانية فيما بينها من جهة، واسترجاعاً مقاميًّا لاستحضار المحافل التي أُنتج فيها الخطاب من جهة أخرى» (٢١٥).

---

(٢١١) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص٣٣٤، (بتصرف).

(٢١٢) انظر: صولة، الحجاج في القرآن، ص١٦٩. «سمى القدماء هذه الظاهرة بــ(التنكيت)، وهي عند الأسلوبيين تحت مصطلح العدول». نفسه، ص١٦٩، ١٧٠. وستكون في هذا البحث كما وضعها اللسانيون، تحت مصطلح الاختيار، كما أن دراستها ستكون على ضوء ما تكتسبه الكلمة عبر الاختيار من دلالة تداولية.

(٢١٣) Oswald Ducrot: Les mots du discours p27 نقلًا عن: الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص٢٠٥.

(٢١٤) انظر: صولة، الحجاج في القرآن، ص٦٨. «إن اللغة نسق ملتبس، وهذا الالتباس كامن في جوهرها؛ لذلك يكون استعمالنا لها استعمالاً غير محدد على النحو الذي نريده، فالإمكانات القولية التي تتيحها، تفرض على المستعمل الاقتصار على قول دون آخر، وهذا الاختيار مؤسس على العلاقات التي ينسجها الفكر بين الأقوال؛ فيتم إلغاء بعضها والإبقاء على البعض الآخر تحت ضغط الشروط المقامية».

-قادم، سعيد العوادي (إشراف)، التحليل الحجاجي للخطاب، ص٩١.

(٢١٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تكتسب الموجهات التكوينية فعل التوجيه من موقعها في الخطاب، الذي يمكّنها من شغل وظائف تقويمية توجيهية، بحسب علاقة الصيغة التكوينية بحركة الكلمة الحجاجية، وبحسب تموقع المتكلم من مضمون الخطاب؛ وعليها يصبح المتكلم حاضراً في كلامه؛ فتبرز الصيغة الذاتية، التي تتجاوز حدود التقويم إلى «إعطاء الشيء المراد وصفه حكم قيمة سواء بالإيجاب أو بالسلب» (٢١٦).

«والألفاظ التقويمية تحمل في طياتها طابع الإلزام، وإن لم تكن مقترنة بفعل الوجوب؛ لأنها توجه سلوكنا نحو المرغوب فيه، فهي -كما يرى عبدالله صولة- توجه السلوك، وتقتضي أمراً بفعل شيء ما، شأنها في ذلك شأن الأوامر العسكرية والإدارية» (٢١٧).

ومن جهة أخرى، يمكن أن نعد حركة الكلمة الحجاجية وما ينتج عنها من طاقات توجيهية وتقويمية تحمل أبعاداً حجاجية، أمر لا يخلو من جوانب فلسفية، تمكننا من فهم العالم الرمزي في علاقاته بتمفصلات اللغة، وتفتح لنا الطريق لوضع قواعد جديدة، سلطانها العقل، ومدارها اللغة، وفضاؤها التفاعل والتداول والحركة.

كل هذا يقتضي كفاءة تأويلية تداولية، الكفاءة التي تضمن حصول الغاية، وتيقن المتلقي وقبوله، فالقيمة الحجاجية عبر الموجهات التقويمية ليست في ذات الملفوظ وحده، كما أنها ليست في ذات المتكلم الذي يشكل عنصراً مهــمًّا في بناء الخطط القولية، إنما تكمن القيمة في كفاءة المتلقي، الذي يتوقف على كفاءته نجاح العملية الحجاجية.

الصيغ ذات الطابع التقويمي الخلقي:

اتضح من خلال استقراء الخطاب السياسي لدى الملك فيصل، بروز الصبغة الذاتية، وطغيان الصيغ ذات الطابع التقويمي الخلقي كالأسماء، ويدخل في هذا الصيغ الدالة على الوصف وأبعادها الحجاجية، عن طريق انتشار عدد من الكلمات ذات الطابع التقويمي.

- الاسم:

اختلف النحاة والمناطقة والحجاجيون على ضبط وظيفة الاسم في الخطاب، فذهب «بعض النحاة، مثل ابن يعيش، وبعض المناطقة، مثل (ميل)، إلى أن اسم العلم لا يفيد معنى، فهو خال من كل دلالة. ولا محتوى له من حيث الأوصاف. وتنحصر وظيفته في الإحالة على شخص ما» (٢١٨)، وذهب الحجاجيون إلى أن المحتوى الوصفي للاسم العلم يختلف عنه من الناحية الدلالية، «ففي مقامات الخطاب والمحادثة والحوار والتفاعل بين المتخاطبين قد لا يمكن أن يؤدي اسم العلم الدور نفسه الذي يؤديه محتواه الوصفي»(٢١٩).

---

(٢١٦) أوركيوني، المضمر، نقلًا عن: الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص٢٤١.

(٢١٧) قادم، سعيد العوادي (إشراف)، تحليل الخطاب الحجاجي، ص٢٠، (بتصرف).

(٢١٨) صولة، الحجاج في القرآن، ص١٧٥.

(٢١٩) نفسه، ص١٧٧.

يمكن أن نرصد أبعاد الحبكة الحجاجية للاسم العلم في خطاب سياسي عن طريق ربطه بالمقام التواصلي للخطاب، إذ تجلي هذه التقانة فعل الصناعة في الخطاب، ذلك أنها تنشأ ضمن عملية شبه منطقية تنطلق من فضاء التواصل، فاستراتيجية الاختيار تغذي الخطاب بقصدية المرسل، وفق مواضع وقواعد وقوانين يشترك فيها أطراف التخاطب، ويلجأ لها المحاج؛ لتمكين مقاصده من ذهن المتلقي، ومن ثم الزج به في غمرة القضية. ومن ذلك ما قاله الملك فيصل في حديثه عن رابطة العالم الإسلامي: «فالدعوة ليست دعوة فيصل ولا أي كان؛ ففيصل وغير فيصل ما هم إلا أفرادٌ من أمم وشعوب» [٢٢٠] . فالملك فيصل بوصفه ملكاً للبلاد، وأحد أهم الداعمين للقضية الفلسطينية، والداعي الأول لرابطة العالم الإسلامي، والمتحدث باسم المملكة في اللقاءات الدولية، يعدل عن الألقاب الرسمية التي تتقيد بها النخب السياسية، إلى صيغة مباشرة، تتضمن المحتوى الجوهري للوصف المرتبط بالاسم العلم.

فقوله (فيصل) وتَكرارها في الخطاب تتعدى الصيغة الذاتية الوصفية إلى الوظيفة الحجاجية المرتبطة بحركة الكلمة المتمثلة في الاختيار، فقوله: (ففيصل وغير فيصل ما هم إلا أفرادٌ من أمم وشعوب) يتضمن التقويم الذي اعتمدته حركة الاسم؛ للوصول به إلى الغاية الحجاجية، كما أن الاختيار الحجاجي الذي جرّد الاسم من الوصف المرتبط بالمقام، الذي يتمثل في (الملك)، يحمل بعداً حجاجيًّا، يتضمن النتيجة (لا فرق بين ملك أو مواطن، في خدمة الإسلام والمسلمين).

وبما أن الاختيار، أو العدول عن الاســم إلى الصـــفة يعد ضامناً لنجـاح الفاعلية الحجاجية -كما يرى صولة- بوصفه عملية لغوية شبه منطقية، فإن العدول من الصفة إلى الاسم في مقام رسمي، سياسي، يتطلب الألقاب الوصفية التي تدل على أصحابها، في مكان يعج بالمسميات، هو أيضاً يضمن نجاح الفاعلية الحجاجية.

وعلى نحو آخر، ظهر اختيار الصفة دون الاسم عند الحديث عن الكيـان الإسرائيلي بدرجة لافتة، فالخطاب السياسي لدى الملك فيصل، يكاد يكون خالياً من المسمى الذي يطلق على هذا الكيان وتعترف به الأمم المتحدة، وذلك في لفتة منه بعدم الاعتراف بهذا الكيان سياسيًّا وجغرافيًّا، ولا حتى في الخطب والكلمات. فالأبعاد الحجاجية المترتبة على اختيار (الصهيونية) دون إسرائيل، هي رفض الاعتراف بهذا الكيان، والتذكير الدائم بأن الصهيونية كيان استعماري، لا أصل له ولا نسبة، إلا إلى جبل يحمل أسطورة لا تعترف بها إلا كتب اليهود.

كما أن كلمة (إسرائيل) قد تُعد حاملاً دينيًّا، يمكن ربطه بالكتب المقدسة، كما يمكن ربطه بالهدف الذي يُغلِّف الأطماع الاستعمارية، التي تدّعي الدينية، بينما يُصِّر الملك على فضح مخطط الصهيونية، عن طريق فصل الدين عن الهدف وربطه بالجغرافيا (جبل صهيون).

يقول في أزمنة ومقامات مختلفة: «أما اليهود فليس لهم مقدسات في هذه الأرض، وما

(٢٢٠) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٦٨.

يدّعون بأن لهم مقدسات، هذا لا صحة له بتاتاً، وليس لهم هناك إلا ما يدّعون بأن لهم حائطاً كانوا يبكونه، أما خلاف ذلك فما هي مقدساتهم؟» [٢٢١] .

ويقول: «إن حل قضية اليهود المضطهدين في العالم، تختلف عن قضية الصهيونية الجائرة» [٢٢٢] . ويقول: «الصهيونية ليست صديقة الشرق ولا الغرب ولا صديقة أحد» [٢٢٣] .

ويقول: «لست بحاجة أن أشرح لإخواني ما نتعرض له اليوم من عدوان من قِبل الصهيونية» [٢٢٤] .

ويقول: «إن الاعتداءات التي يرتكبها أعداؤنا الصهاينة ضد المسلمين في الأماكن العربية والمقدسة... يهدفون من ورائها إلى تحطيم المسلمين» [٢٢٥] .

ويقول: «كان أحد الأئمة يصف الخمر بأنها أم الخبائث، وأنا أقول إن الصهيونية هي أم الخبائث؛ لأنها هي سبب كل المشكلات» [٢٢٦] .

وغير هذه الأمثلة كثير، هيمن فيها اختيار الصهيونية دون إسرائيل، حتى أصبح يشكل ظاهرةً لغوية وأسلوبية لافتة.

الصيغ الدالة على الوصف:

١ – اسم الفاعل:

وهو «اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، حادث، وعلى فاعله. فلا بد أن يشتمل على أمرين معاً، هما: المعنى المجرد الحادث، وفاعله، مثل كلمة (زاهد) وكلمة (عادل) في قول القائل: جئني بالنمر الزاهد، أجئك بالمستبد العادل؛ فكلمة (زاهد) تدل على أمرين معاً، هما: الزهد مطلقاً، والذات التي فعلته أو ينسب إليها، وكذلك كلمة (عادل)... « [٢٢٧] .

وقد اكتست مضامين الخطب السياسية لدى الملك فيصل ببعض الصفات، عن طريق توظيف اسم الفاعل وما ينطوي تحته من أبعاد دلالية وحجاجية، يظهر ذلك في قوله: «إما أن المسلم يترك دينه وعقيدته وشريعته، أو أن المسلم يتخلى عن العمل في تقوية نفسه، وفي تهيئة

(٢٢١) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٦٢.

(٢٢٢) أقوال مأثورة وخالدة، مجلة المنهل، ١، فبراير، ١٩٧٤م.

(٢٢٣) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٧٩.

(٢٢٤) نفسه، ص٣٩٨.

(٢٢٥) نفسه، ص٤٢٢.

(٢٢٦) نفسه، ص٣٨٥. المرة الوحيدة –بحسب اطلاعي– التي وردت فيها كلمة (إسرائيل) في خطبه هي في قوله: «لو يعترف الفلسطينيون بإسرائيل فإنني لن أعترف بها».
–الحصين، فيصل بن عبدالعزيز وجهوده في القضايا العربية والإسلامية، ص٢٤٦.

(٢٢٧) عباس حسن، النحو الوافي، ج٣، دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت، ص٢٣٨، ٢٣٩. وجاء في الحاشية ص٢٣٨ أن المقصود بمعنى مجرد حادث: «أي: عارض، يطرأ ويزول، فليس له صفة الثبوت والدوام ولا ما يشبههما».

نفسه للصمود أمام أعداء الإسلام، فاليوم نرى ما تقوم به الصهيونية ضد الإسلام والمسلمين، وضد الخير للبشرية أجمع»[٢٢٨].

فتوظيف اسم الفاعل (مسلم) في الخطاب يحمل طابعاً وصفيًّا وحجاجيًّا في آن؛ ذلك أن الحرب على الكيان الصهيوني هي حرب للدفاع عن أحد مقدسات المسلمين بالمقام الأول. فالدفاع عن ثالث الحرمين الشريفين مسؤولية تقع على عاتق المسلم أياً كانت جنسيته، فاختزال عرق ولون ولغة وجنسية المسؤول عن الدفاع عن المقدسات الإسلامية، جاء في الوصف الذي تضمنه اسم الفاعل (مسلم).

كما أن الوصف في اسم الفاعل (ظالم)، الذي تضمنه قوله: «هذه الأمة التي تقوم على العدل والحق وردع الظالم»[٢٢٩] يتضمن عمقاً دلاليًّا، يشير إلى تعدد الخصوم، الذي قد تختلف جنسياتهم ودياناتهم، ولكن يجمعهم الجرم والاعتداء. فالمجتمع الدولي الشاهد على ما يحصل في الأرض الفلسطينية شريك في الاعتداء. وحين نلتفت إلى الدين الإسلامي نجد أن ردع الظالم لا يقتصر على المشركين وأهل الكتاب فحسب، بل على كل من يمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف ولو كان من المسلمين.

وباعتبار أن اسم الفاعل -في السياق التداولي- حدث لغوي؛ يترتب عليه آثار خطابية توجيهية، تحكمها البنية المنطقية للملفوظ، فإن العملية الأسلوبية لا يمكنها وحدها بث الحجاج ما لم يعتن المتلقي بفهم الخطاطة اللغوية، وتنظيم الوحدات اللغوية عبرها. ويكون كذلك في تنسيق نحوي منطقي، ينشأ عنه حجاجية اسم الفاعل، التي تصف الوضع السياسي القائم تلك المدة، وتشير إلى كثرة الأحداث السياسية، وغياب السلطة القانونية، والقيم الأخلاقية؛ مما أدى إلى انتشار الاضطراب والفوضى والاعتداء والظلم. يقول: «إننا اليوم في هذا العالم المضطرب الذي كثرت فيه الهزات، وكثرت فيه النكسات، وكثر فيه الاعتداء والظلم والطغيان»[٢٣٠]، ويقول: «إننا في عالم مضطرب، تتجاذبه الأهواء والأغراض والتيارات من كل جانب»[٢٣١].

كما أن الوصف في اسم الفاعل (ماض، لائم، مطمئن)، الذي تضمنه قوله: «أريد أن أؤكد أمامكم بأننا ماضون في سبيل الله لا نألو جهداً، ولا تأخذنا لومة لائم»[٢٣٢]، وقوله: «إني مطمئن بأن المسلمين... لن يتخاذلوا في سبيل نصرة الحق»[٢٣٣]، أصدر بدوره حكم قيمة، سواء على المتكلم أم على أعدائه، عبر الصفات التي تتنزل منزل الذات الفاعلة؛ فتُحيل إلى فعل الديمومة

(٢٢٨) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٤١٠.

(٢٢٩) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٦٩.

(٢٣٠) نفسه، ص٣١٦.

(٢٣١) نفسه، ص٣٢٠.

(٢٣٢) نفسه، ص ٣٠٩.

(٢٣٣) نفسه، ص٣٠٨.

والاستمرار، الذي تحمله الأبعاد الحجاجية لصفة اسم الفاعل في هذا السياق.

إن توظيف اسم الفاعل بهذه الصور، يعزز من حضور الذات الواصفة في الخطاب، عن طريق توظيف الكلمات ذات الطابع التقويمي، بحسب طبيعة موضوع التلفظ؛ فيبرز المتكلم من خلالها موقفه، ويحدد مكانه.

وعلى هذا، يمكن أن يُعد اسم الفاعل في السياق التداولي الحجاجي حاملاً لغويًّا وصفيًّا لمعانٍ ومضامين ومقتضيات توجيهية وتقويمية، ذات أبعاد حجاجية، كما أنه صيغة توجيهية متعدية، تتعدى الموصوف وتتجاوز الوصف الظاهر إلى دلالات مضمرة، وأخرى ضمنية، تؤدي وظائف محددة، تقرها استراتيجية الخطاب.

٢ - اسم المفعول:

وهو «اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى. فلا بد أن يدل على الأمرين معاً، (وهما: المعنى المجرد، وصاحبه الذي وقع عليه) »[٢٣٤].

إن الشحنة الوصفية الناتجة عن سكب الذات في قالب اسم المفعول، تتضمن بعداً تقويميًّا، يقتضي الإيجاب أو السلب، وعليها يُبنى فعل التوجيه الذي يتضمن الحجاج بجميع محمولاته.

إن الوصف المطلق دون تقييد الموصوف، وتعيين جنس اسم المفعول في قول الملك فيصل: «هذه الأمة التي تقوم على العدل والحق وردع الظالم وإنصاف المظلوم»[٢٣٥]، يفتح باب التأويل لتعدد الاحتمالات عند مستمع كوني، إلا أن السياق اللغوي الذي يربط نصر المظلوم بالأمة الإسلامية، التي تقف تلك المدة في مواجهة الزحف الإسرائيلي، يحدد جنس المظلوم ويؤطره في (الشعب الفلسطيني).

في حديثه عن التضامن الإسلامي يقول: «وإنه لمن باب تحصيل الحاصل أن نبين مقدار مسؤولية الأمة العربية تجاه هذه الدعوة الكريمة التي شرفهم الله بها، وحملهم مسؤوليتها؛ فهم أولى بها، وأعظم مسؤول عنها»[٢٣٦].

إن توظيف اسم الفاعل واسم المفعول في الخطب السياسية، يتعدى استغلال الصبغة الذاتية التي تضفيها تلك الموجهات على الخطاب إلى إضفاء بعض الصفات، وإصدار الأحكام، وتقويم الذات الموصوفة إيجاباً أو سلباً.

---

(٢٣٤) حسن، النحو الوافي، ج٣، ص٢٧١.

(٢٣٥) مختارات من الخطب الملكية، ج١، ص٣٦٩.

(٢٣٦) نفسه، ص٣١٥. «وحكم اسم المفعول في المعنى والعمل، كحكم اسم الفاعل».

-ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص١١٣.

وبناء على ما سبق، فإن حضور هذه الصيغ، المتمثلة في صيغ اليقين والإثبات، والصيغ التقويمية الخلقية، والصيغ الدالة على الوصف، لا يخلو -كما رأينا- من طاقة حجاجية؛ فهو دليل اهتمام المتكلم بما يشاع في المقام التواصلي للمخاطب عن طريق الاختيار، منها ما يكون على هيئة تكرار، يحدد عبره المتكلم علاقته بكلامه، ويكشف عن موقفه من ملفوظه، ومنها ما يكون فيها الاختيار عنصراً جوهريًّا، تتشكل من خلاله البنـــية الداخليــة للعملية التواصلية -في علاقاتها بمقتضى الحال- وتتم عبره الفاعلية الحجاجية.

فهذه الصفات بفضل مالها من شحنات تقويمية، تقتضي الإيجاب أو السلب، جعلت الخطاب يفصح عن مكنوناته عن طريق ثنائية التقويم، وعليها فعل التوجيه الذي يرتبط بالعملية السابقة بعلاقة جذب وطرد؛ فالحجاج عبر هذه الصيغ هو عملية لكشف جوهر الأشياء عن طريق وصفها، بصفات ينتقيها ويرتضيها المتكلم، ويتقبلها ويقتنع بها السامع.

وعليه، «يتبين أن نظرية الحجاج اللغوي لا تربط بين المحتوى الإخباري للأقوال والبنية الحجاجية التي تنظمها؛ لأن التوجه الداخلي نحو نتائج معينة ليس مرتهناً بكمية الأخبار التي ينقلها المتكلم عبر تلك الأقوال إلى المخاطب، وإنما يتأسس ذلك التوجه الداخلي بناء على ما يرغب فيه المتكلم نفسه من تأثير وتعديل وتوجيه لأفــكار وعواطف وانفعالات المتلقي» (٢٣٧).

كما يمكِننا من خلال تفكيك عناصر التوجه الداخلي للخطاب نمذجة الركائز والملحقات والنتائج، في هيئة أنساق تلفظية، دلالية، تتضمن مفاهيم تداولية وحجاجية، تمكِّننا من فهم علاقة الوصف الدلالي باللغة، كما تمكِّننا من تتبع مسار هذا الوصف في رحلته اللغوية الحجاجية. والسؤال الذي تُجيب عليه، ما هي علاقة الوصف الدلالي باللغة والحجاج؟

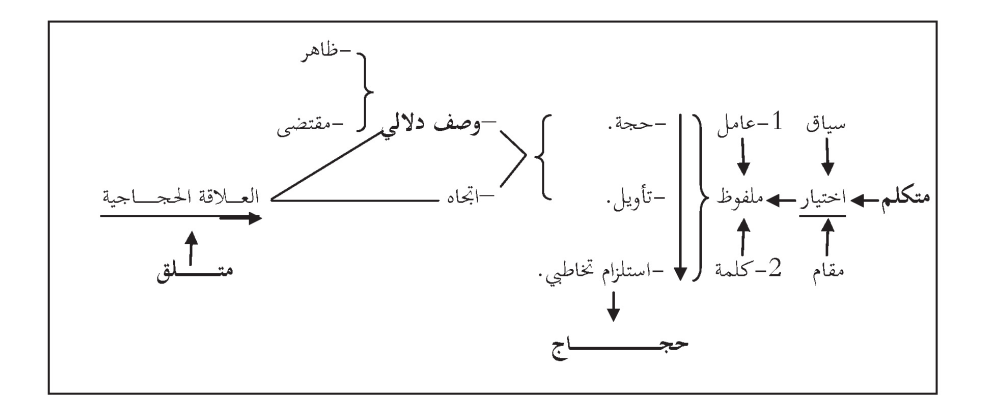
في الحقيقة، لقد تمت الإجابة عن هذا السؤال تطبيقيًّا، ولكن الذي نحن بصدده الآن هو هيكلة تلك الإجابات في شكل نماذج أو أنساق تفكيكية، تنظِّم سير تلك العناصر المتفاعلة، المتداخلة، وتشرح إمكانية عزلها عن بعضها، أو الاكتفاء بأجزاء منها.

وهي -كما أجاب هذا الفصل- على نسقين، الأول: نسق تلفظي عامليّ، يقوم بناؤه على عاملية الملفوظ الحجاجية، ويمثِّل المقتضى التوجيه الحجاجي عبر الوصف الدلالي، الذي أُفضِّل أن يُطلق عليه في هذا النسق بالمدلول.

أما النسق الثاني: فيمكن أن يُعد نسقاً تلفظيًّا، وصفيًّا، يقوم بناؤه على حركة الكلمة الحجاجية، التي تخضع لضوابط التداول الحجاجي، الذي يُضمِّن النتائج عبر الوصف الدلالي الذي يلتقي فيه أطراف الخطاب.

---

(٢٣٧) السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص٥٤.



والواقع -برغم هذا- أن هذه الأنساق لا تمثل أشكالاً هندسية، كما أنها لا تُحيل إلى هياكل رياضية -بالمعنى الذي يؤمن به المنــاطقة والفــلاسفة- بل هي ذات خصائص جوهرية، تتعلق بقيم مادية، وأخرى غير مادية، تخضع لقانون متغير، يهيمن عليه العقل في مفهومه المفرد، الذي ينظِّم الأشياء وينتقيها، ويتأثر بالزمن والظروف وتعاقب الأحداث واختلافها.

والخلاصة أن هذه الأنساق مجتمعة لا تفصح عن حبكة حجاجية محددة في الخطاب فحسب؛ بل تُحيل إلى أقوال لم تكن حاضرة لفظاً في ثنايا الخطاب، كما أنها تفصح عن قضايا وتثري الحقل الذي تُغمد فيه؛ فتحيل إلى حقول معرفية أخرى تدركها النخب السياسية، في مقام سياسي محدد.

وكما سبق أن ذكرت، بأن الولوج داخل البنية المنطقية للملفوظ يمكِّن من رصد قوانين وخطاطات، تُعنى بتنظيم ووصف الوحدات الدلالية في علاقتها باللغة، فدلالة الملفوظ الحجاجية غير قابلة للملاحظة إذا ما خضع الملفوظ لعمليات مركبة ومعقدة، تتم عبر تسلسل العناصر التداولية، في تنسيق نحوي منطقي.

الخاتمة

لاشك في أن دراسة الخطاب السياسي في المملكة العربية السعودية، وتحديداً خطب الملك فيصل السياسية، قد مكنتنا من رصد العديد من الآليات اللغوية والحجاجية المتبعة في بناء النظم التواصلية، خصوصاً فيما يتعلق بالمقامات السياسية مدة حكمه -رحمه الله-.

وبفضل ما أمدتنا به النظريات الحجاجية، استطعنا فهم العلاقة بين المنجز اللغوي السياسي، والنجاعة الحجاجية، في فضاء تداولي تحكمه الديمقراطية، التي تمكِّن المتلقي من المشاركة في صنع الخطاب.

كما أنه بفضل ما أمدتنا به هذه النظريات، استطعنا الوصول إلى النتائج التالية:

-إن التصور الذي ينهض عليه هذا البحث يجمع بين رؤى منهجية مختلفة، وفرت بيئة الاختلاف هذه فضاء خصباً للكشف عن آليات بلاغية وفلسفية ومنطقية ولسانية، حاولنا في سعينا هذا أن نجمع هذه العناصر المختلفة تحت مظلة التداولية، التي أثبتت أن المتلقي جزء من صناعة الخطاب السياسي.

-يكشف الفصل الأول المنطلقات التي بنى عليها الملك فيصل خطبه السياسية، كما يكشف عن أهم القضايا التي شغلته تلك المدة. فالسرد الواصف الذي يجنح إلى توظيف الوقائع والحقائق بوصفها منطلقات حجاجية كان حاضراً في خطبه، خصوصاً فيما يتعلق بترابط الدول الإسلامية، كما كان سؤال القيم أحد المنطلقات الرئيسة في معرض حديثه عن السفسطة العالمية تجاه الحق الفلسطيني، وتجاه السعي العربي لحل الأزمة الفلسطينية.

-تشكل القضية الفلسطينية عنصراً مهمًّا في بناء الخطط الحجاجية في الخطاب، فتبنِّي القضية الفلسطينية والدفاع عنها أمام المسلمين، والعرب، والعالم، أثّرت في طريقة بناء الخطاب وتوجيهه؛ مما جعل الخطاب السياسي لدى الملك فيصل خطاباً موجهاً إلى جمهورين، جمهور خاص، وجمهور كوني.

-يثبت الفصل الثاني أن الصيغ الصناعية في الخطاب السياسي تؤدي الوظيفة الحجاجية، انطلاقاً من خصائصها البنائية، التي تنشأ بالتضافر مع متطلبات المقام. هذا الحضور المكثف للصيغ الصناعية في خطب الملك فيصل، يكشف عن حبكة حجاجية، تؤدي الوظيفة التي ساهمت في نشأة النظريات الحجاجية تلك المدة، فامتلكت خطبه السياسية عبر الحجاج فاعلية، تمكنت بها من حل النزاعات ضمن نطاق ديمقراطي، ينبذ القوة والعنف والإرهاب وإراقة الدماء.

-وفي الفصل الثالث، صرفنا الاهتمام إلى ما يميز الملفوظات عن بعضها، وما يمكن أن يجعل اللغة حجاجاً، عبر الكشف عن الأسباب التي قد تجعل توظيف ملفوظ أنجع من توظيف آخر، فالكلمة تشكل -عبر حركتها المتمثلة في الاختيار- تقنية حجاجية متميزة في خطب الملك فيصل؛

إذ إن الكلام في الخطاب السياسي قائم على خيارات محددة، وقد حاولنا أن نثبت أن الفاعلية الحجاجية عبر الاختيار تنمو عن طريق انتخاب واستبعاد أحد هذه الخيارات، التي تتحكم بحركتها عناصر تداولية أخرى.

-إذا تأملنا طبيعة القضايا التي تنهض بها خطب الملك فيصل نجدها قضايا تنطلق من أسس عَقَدية، وتتفرع إلى أن تغطي كافة المجالات الإنسانية؛ مما يجعل المعجم الديني يهيمن على شكل الخطاب السياسي لدى الملك فيصل، فيكشف عن الجانب العاطفي الذي يسرد أولوياته، كما يكشف عن أساليبه الحجاجية التي تجنح أحياناً إلى الاستمالة العاطفية، عن طريق ثنائية الترهيب والترغيب، التي يفهمها المتلقي عبر استعراض الملك فيصل لإيجابيات التضامن الإسلامي، وسلبيات تفكك الدول الإسلامية.

-تظل الكفاءة التداولية الضامن لنجاح العملية الحجاجية؛ ذلك أن فاعلية الخطاب لا تكمن في بنية النص وحده، بل في القوة التي ساهمت في تشكيله، فأطراف الخطاب تشترك في بث الحجاج واستقباله، عبر كفاءة كل منهما.

وبهذا ننتهي إلى أن الخطاب السياسي -برغم تعدد مصادره وأبنيته- خطاب يُبنى في مجمله وفق معايير الازدواج الحجاجي، التي تتمثل في مستويات الخطاب الداخلية والخارجية، المسؤولة عن كشف الفاعلية الحجاجية، التي تمكِّن الخطاب من ذهن المتلقي.

التوصـــــيات:

-إن تنوع الوسائل المستخدمة في بناء الخطاب تفتح الأفق لأدوات جديدة، تمكّن من قراءة الخطاب السياسي عبر وجوه متعددة، كما تساهم في سد الفجوة بين المناهج النقدية والخطب السياسية، التي ستخدم العمل البحثي الذي يعتني بالمنجز اللغوي للنخب السياسية، ومنها:

- توظيف الشخصيات الرمزية، الدينية، والسياسية، والتاريخية في الخطاب السياسي، يجعل من مقاربة النصوص السياسية مقاربة سيميائية، موضوعاً يكشف عن الأبعاد الرمزية لاستلهام وتوظيف الشخصية في الخطب السياسية.
- على الرغم من أن الخطاب السياسي خطاب مباشر، فإن التداولية تقدم آليات تمكّن من الكشف عن المسكوت عنه، وقد تضمّن الخطاب أنواعاً متعددة منه. يشكِّل الحوار الضمني في الخطاب السياسي جانباً مهماً وملهماً لدراسة حجاجية المقتضى والضمني في الخطاب.
- إن الظواهر الصوتية واللغوية المنتشرة في الخطاب توفر مساحات متعددة ومتنوعة لدراسات حجاجية أسلوبية للخطب السياسية.
- يزخر البناء الفني للخطاب السياسي بتوظيف لتقنيات مختلفة، من قبيل الوصف، والتصوير، وتعدد الأصوات، وهي تشكل فضاءات ثرية لدراسة فنية لآليات البناء الفني للخطب السياسية.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

١- حمد الجاسر، جمهرة الأنساب المتحضرة في نجد، دار اليمامة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م.

٢- السيد عبدالحميد الخطيب، الإمام العادل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، سيرته- بطولته- سر عظمته، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ.

٣- عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سليمان الحصين، فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وجهوده في القضايا العربية والإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٤- مختارات من الخطب الملكية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٥- معجم السفراء السعوديين، وزارة الخارجية، مركز أسبار، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م.

٦- ناصر بن سعود السلامة، مجموع خطب وكلمات الملك فيصل بن عبدالعزيز، دار العصيمي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

ثانياً- المراجع:

٧- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، لبنان، ٢٠٠٣م.

٨- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

٩- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، مؤسسة الرحاب الحديثة، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

١٠- أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، م٢٠١٦.

١١- أحمد قادم، سعيد العوادي (إشراف)، التحليل الحجاجي للخطاب، كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

١٢- باتريك شارودو، دومينيك منغنو (إشراف)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقاهر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٣- جميل عبدالمجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٤- جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٥- حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،

جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت.
١٦- حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار غرطاج، تونس، الطبعة الأولى، م١٩٩٩.
١٧- الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، منشورات جامعة تونس، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
١٨- زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
١٩- الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
٢٠- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
٢١- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٢٢- الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد المنشاوي، دار الفضيلة، د.ت.
٢٣- صالح بن رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، النادي الأدبي بالرياض، الرياض، ٢٠١٥م.
٢٤- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٢٥- طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.
٢٦- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، د.ت.
٢٧- عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٨- عبدالعالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجاً، دار كنوز، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
٢٩- عبدالله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٣٠- عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الفارابي، بيروت،

الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣١- عبدالله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٣٢- عبدالناصر قاسم الفرا، الهيكل المزعوم بين الوهم والحقيقة، جامعة القدس المفتوحة، د.ت.

٣٣- عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.

٣٤- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٣٥- عز الدين الناجح، تداولية الضمني والحجاج، بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، مركز النشر الجامعي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٣٦- علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسكلياني، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٣٧- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٣٨- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.

٣٩- فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٤٠- كاترين كيربرات أوركيوني، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٤١- كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٤٢- كريستيان بلانتان، الحجاج، سيناترا، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٤٣- مبارك عمران الأدغم، موقف آل سعود من القضية الفلسطينية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٤٤- محمد العصيمي، سياسة الإقناع في الخطابة الإسلامية لدى الملك فيصل، مركز الملك فيصل للبحــوث والدراســات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٤٥- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.

٤٦- محمد بن العربي الجلاصي، المتكلم والكلام، في تأويل الإقامة العرفانية في العالم، مرايا الحداثة، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٤٧- محمد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصرة، الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٤٨- محمد سبيلا، للسياسة بالسياسة: في التشريح السياسي، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٤٩- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٥٠- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات ضفاف، الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٥١- يوحنا يعقوب أبكاريوس، قطف الزهور في تاريخ الدهور، تحقيق محمد عبدالرحيم، كتابي، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

ثالثاً- الدوريات:

٥٢- مجلة المنهل: (مارس، ١٩٧١م)، (فبراير، ١٩٧٤م).

المحتويات

الفصل الثالث


وزارة الخارجية
MINISTRY OF FOREIGN AFFAIRS
معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
Prince Saud Al Faisal Institute for Diplomatic Studies